

## الثورة التونسية: السفسطائيون الجدد

د. صالح نائلي

قبل الوداع

الثورة والبناء.

(لطفي الدهواثي)

في العمق

حول المقاربات الجديدة للنص الديني.

(م. توفيق الشابي)

فلسطين بوصلتنا

الكيان الصهيوني بين التشدد الرسمي والتطرف الشعبي.

(د. مصطفى يوسف اللداوي)

«الإصلاح والتنمية» ذهب الحزب وبقيت الفكرة

(م. فيصل العش)





# المحتويات

## الأولى

«الإصلاح والتنمية» ذهب الحزب وبقيت الفكرة

## وجهة نظر

الثورة التونسية: السفسطائيون الجدد

## في العمق

حول المقاربات الجديدة للنص الديني

## تمتات

هل الإرهاب سببه الفقر والجهل؟

## نقاط على الحروف

حركة النهضة وفقه المناورة السياسية - الجزء 4

## فلسطين بوصلتنا

الكيان الصهيوني بين التشدد الرسمي

والتطرف الشعبي

## الإنسان والكون

الإنسان والسماء - ج8 - لغة الكون

## حديقة الشعراء

سراب الأرض

سؤال

## شخصيات

أبو حنيفة النعمان

## قبل الوداع

الثورة والبناء

## أغاني الحياة

غزة يا الأقصى يا الجنة

## إلى اللقاء

خياركم في الجاهلية ... خياركم في الإسلام

4 م. فيصل العرش

8 د. صالح نائلي

14 م. توفيق الشابي

17 د. محمد كشكار

18 محمد المولدي الداودي

20 د. مصطفى يوسف اللداوي

24 د. نبيل غريال

28 د. ناجي حجلوي

29 سالم المساهلي

30 التحرير

32 لطفي الدهواثي

34 محمد وائل البسيوني

35 عم عمر

عالية، وبهذه الطريقة يتم عزل «السفستائين» الذين تحدث عنهم الدكتور صالح نائلي في مقاله «الثورة التونسية: السفستائيون الجدد» وحجم تأثيرهم السلبي على مسار البلاد. وهم تلك المجموعات التي تخلت عن مبادئها النضالية في السابق، فبعد أن كانت تستمد وجودها من الجماهير الشعبية التي تدعمها وتشجعها على الصمود أضحت اليوم لا ترى في هذا الزخم الشعبي فائدة وأن مصدر قوتها إنما يكمن في التماهي مع السلطة السياسية القائمة».

إن تحقيق إصلاح جذري في ثقافة المجتمع يمر حتماً بإصلاح الفكر الديني عبر قراءة موضوعية للتراث وانجاز مقاربات جديدة للنصوص الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم. إنه موضوع هام وملخ على الفكر العربي الإسلامي المعاصر «الذي لم يستطع إلى حد الآن حسم هذه الإشكالية مما شكّل عائقاً أمام تقدّم العرب ليكون لهم موقع في المستقبل» كما يذكر المهندس توفيق الشابي في مقاله: «حول المقاربات الجديدة للنص الديني».

إن قدر الإصلاحيين في تونس وفي غيرها من الأقطار العربية الإسلامية أن يواصلوا مسيرة صفوة الأمة التي أمضت حياتها في البحث والعمل من أجل التماس طريق النهوض، ارضاء لله قبل كل شيء وحباً في شعوبها التي عاشت ومازالت تعيش المعاناة والفقر وتحمل كل أشكال الظلم والقهر من الأجانب تارة ومن ذوي القربى تارة أخرى، «وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند».

قراءة ممتعة

التحرير

لم يكن حدث حل «حزب الإصلاح والتنمية» ليبرز من دون أن يسلط عليه المهندس فيصل العش الضوء بصفته أحد مؤسسيه بمقال لم يهدف منه تحليل أسباب سرعة فشل هذه التجربة الحزبية ونهايتها وإنما ليؤكد أن نهاية الحزب لا تعني وفاة فكرة «الإصلاح والتنمية» بل ربما «تحررت» الفكرة من السجن الحزبي واكراهات السياسة وانطلقت تبحث عن أجنته أكثر صلابة وقوة لتحلق عالياً بعيداً عن التعصب الحزبي الضيق والجدل السياسي العقيم وتكتيكات التحالفات والاصطفاف الأعمى».

ولأن الثورة بدأت برغبة في الإصلاح وإلى الإصلاح يجب أن تنتهي كما يقول المستشار لطفي الدهواثي في مقاله «الثورة والبناء» فإن الإصلاحيين لا سبيل لهم سوى سبيل البناء وهو سبيل «يمكن نهجه من دون إراقة الدماء والتباغض والتخوين والتكفير بشقيه الديني وغير الديني» إذا تم الاشتغال على إصلاح ثقافة المجتمع بما هي عقلية ونمط سلوك وطريقة في الحياة، إصلاح يرسخ ثقافة الحوار والتسامح والقبول بالاختلاف والتعدد ويولي قيم الأخلاق والعمل والإتقان والابتكار والتضامن مرتبة

«لست فقط مناسباً على  
ما تقول. أنت مناسب أيضاً  
على ما لم تقل حيث كان لابد  
لك أن تقول!»

مارتن لوثر كينج

كلمة





## «الإصلاح والتنمية» ذهب الحزب وبقيت الفكرة

في إحدى أيام شهر فيفري 2011، اتصل بي صديقي «محمد القوماني» هاتفياً ليعلمني بأنه ينوي تأسيس حزب سياسي مع ثلثة من المناضلين واقترح عليّ الانضمام إليهم ومشاركتهم هذا المشروع. لم أكن متحمساً للعمل الحزبي منذ كنت في الجامعة لأنّ إيماني كان ولا يزال عميقاً بأنّ التغيير الحقيقي هو ثقافيّ بالأساس يتجاوز الفعل السياسي بل يحتويه وهو بالتالي أوسع من أن يحتضنه حزبا سياسيا مهما كان حجمه أو قوة مبادئه. غير أنّ الطفرة الثورية التي كنت أعيشها مثل كلّ التونسيين والأحلام الجميلة التي احتضنتها عقولنا ومعرفتي العميقة بصديقي جعلتني أسرع بالموافقة لأكون من المؤسسين لحزب الإصلاح والتنمية. لم تكن تجربتي الحزبية سهلة ولكنها كانت ممتعة غير أنّ نهايتها المأسوية قد تحجب كلّ ما هو جميل فيها. ففي 30 جويلية الفارط صدر بلاغ عن الحزب أعلن فيه توقّف مسيرته بحلّ نفسه بعد تجربة قصيرة نسبياً في الساحة السياسية لم تتجاوز 4 سنوات. وقد كانت لجنته المركزية قد اتخذت هذا القرار في اجتماعها الذي نظّمته يوم 22 مارس 2015 الموافق للذكرى الأولى لإنجاز مؤتمر الحزب الأول والأخير.

لم يكن اتخاذ القرار سهلاً بالنسبة إلى أعضاء اللجنة المركزية، لكنّه كان حتماً مقضياً خاصة بعد أن تأكّد للجميع أنّه لا أمل في مشهد سياسي يحكمه التنافس النزيه على الأفكار والبرامج خدمة للوطن وأبناء الوطن بعد أن سادت فيه الانتهازية وهيمن عليه المال السياسي وتحكّم في مفاصله رجال الأعمال وأصحاب المصالح. فكان القرار صرخة استنكار واحتجاج من جهة ومن جهة أخرى تشجيعاً لبقية الأحزاب التي تقاسم حزب الإصلاح والتنمية الانحياز للثورة (أو هكذا تدّعي) على القيام بنفس الخطوة فيحرقوا مراكبهم الصغيرة لعلّ ذلك يساعد في المستقبل على إعادة التشكّل والتوحد في قوة قادرة على افتركاك موقع في الساحة السياسية (1).

لست أنوي بهذا المقال الخوض في أسباب سرعة نهاية هذه التجربة الحزبية وأسباب فشلها فذلك موضوع يتطلب مساحة أكبر وهو ما ننوي إنجازه في المستقبل ضمن كتاب سيتمّ نشره في سلسلة «كتاب الإصلاح»، وإنما أردت بهذه الكلمات أن أوكد بأنّ نهاية حزب «الإصلاح والتنمية» لا تعني وفاة فكرة «الإصلاح والتنمية» بل ربّما تحرّرت الفكرة من السّجن الحزبي وإكراهات السياسة وانطلقت تبحث عن أجنحة أكثر صلابة وقوة لتحلّق عالياً بعيداً عن التعصّب الحزبي الضيق والجدل السياسي بعقلية الكمين وتكتيكات التحالفات والاصطفاف الأعمى.



فيصل العش

لم يكن اتخاذ قرار حلّ الحزب سهلاً، لكنّه كان حتماً مقضياً خاصة بعد أن تأكّد للجميع أنّه لا أمل في مشهد سياسي يحكمه التنافس النزيه على الأفكار والبرامج خدمة للوطن وأبناء الوطن بعد أن سادت فيه الانتهازية وهيمن عليه المال السياسي وتحكّم في مفاصله رجال الأعمال وأصحاب المصالح



## حلم لم يتحقق

الكلّ يحلم بمجتمع يسوده العدل والمساواة بين أفرادها ودولة تقوم على أساس المواطنة تحترم حقوق الإنسان وتنبئ سياسات اجتماعية وتربوية وثقافية وبيئية تحقق طموحات المواطنين وترسم طريق تنمية عادلة وشاملة تخرج الناس من التبعية وتحقق الازدهار والرفق والتقدم. لكنّ هذا الحلم لم يتحقق



منذ عقود طويلة، واستمر التخلف وغياب العدالة ميزة لمجتمعاتنا، ولا تزال شعوبنا تعيش الفقر والتهميش والتجهيل بالرغم من امتلاكنا للثروات الديمغرافية والمادية. فقد فشلت دول ما بعد الاستعمار أو ما يسمى بعسفا الدول الوطنية الحديثة في أن تكون حرة ومتقدمة وتحولت إلى دكتاتوريات أهين فيها الإنسان وغابت فيها مقومات الحياة الكريمة حتى إذا ثار الناس وأسقطوا رموز الاستبداد والفساد وأبعدوهم عن رأس الدولة وحاولوا إعادة التأسيس فشلوا وانتكست ثوراتهم وتحولت مجتمعاتهم إلى بؤر قتال ونزاع على سلطان يبغى الالتفاف على الإرادة الشعبية الحرة والتحكم في رقاب الناس واستغلال ثرواتهم. إنها انتكاسة خطيرة للثورات العربية التي اكتفت بإسقاط رأس النظام ولم ترتق إلى ثورة حقيقية تحقق تغييرات جذرية في ثقافة المجتمع وسلوك أفرادها أو في طريقة توزيع الثروة وتحقيق التنمية عبر منوال لا تبغي لا يخضع إلا لمطالب المواطنين خاصة الفقراء والمهمشين.

## أزمة ثقافية بامتياز

وأنت تتجول في ربوع هذا الوطن تلمس بوضوح غياب الوعي القادر على البناء وحالة اليأس والقنوط التي تسري في عروق الناس والشعور بالإحباط الذي لا يقود إلا إلى العنف أو اللامبالاة مقابل هيمنة ثقافة الاستهلاك والمتعة والتسول والانتهازية، وتعاين بسهولة الفجوة الضخمة التي تفصل النخب عن عامة الناس والأغنياء عن الفقراء وأهل الشمال عن أهل الجنوب، فجوة ظاهرها مادي وباطنها ثقافي واجتماعي بامتياز. الغلو والتطرف هو ما يميز واقعنا، تطرف الأقلية المتخمة بالغنى وتطرف الفقر المدقع والمهين على أغلب الناس، تطرف ديني وتطرف لاديني مع غياب تام لاستراتيجيات واضحة نابعة عن حوار مجتمعي حقيقي لمواجهة هذا الغلو وهذا التطرف والمخاطر والتحديات التي تنجر عنها.

في ظلّ هذه الانتكاسات الخطيرة يصبح «الإصلاح» فرض عين على الجميع وتطرح فكرة «الإصلاح والتنمية» بالحاح كبديل وكقارب نجاة لشعوبنا المنهكة ونخبنا النائية

الغلو والتطرف هو ما يميز واقعنا، تطرف الأقلية المتخمة بالغنى وتطرف الفقر المدقع والمهين على أغلب الناس، تطرف ديني وتطرف لاديني مع غياب تام لاستراتيجيات واضحة نابعة عن حوار مجتمعي حقيقي لمواجهة هذا الغلو وهذا التطرف والمخاطر والتحديات التي تنجر عنها

لقد حصلت انتكاسة خطيرة للثورات العربية حيث اكتفت بإسقاط رأس النظام ولم ترتق إلى ثورة حقيقية تحقق تغييرات جذرية في ثقافة المجتمع وسلوك أفرادها أوفي طريقة توزيع الثروة وتحقيق التنمية عبر منوال لا تبغي لا يخضع إلا لمطالب المواطنين خاصة الفقراء والمهمشين.



حرية مواطنة عدالة

حزب الإصلاح والتنمية

وشبابنا الحائر. وبصرف النظر عن التسمية فإن مجتمعاتنا في حاجة أكيدة إلى مثل هذا الاتجاه الذي يتبنّى الإصلاح الجذري والمتدرّج منهاجاً، إصلاح يشمل كلّ القطاعات ويبدأ بالإنسان ويمتدّ إلى مختلف المجالات في التربية والتعليم والأسرة والعلاقات الاجتماعية والمؤسسات السياسية والاقتصاد والثقافة السائدة والأخلاق والسلوك ... من أجل تحقيق التنمية الشاملة والعدالة وتوفير الحرية والكرامة لكلّ مكونات المجتمع.

### فكرة «الإصلاح» الحيّة

فكرة «الإصلاح» الحيّة هي التي تنبع من الإنسان وتعمل بالإنسان من أجل الإنسان. تعبّر عن تطلّعات المحرومين والمهمّشين والكادحين والثّائرين على أنظمة الاستبداد والفساد، تناهض الثّراء الفاحش والخيارات الليبرالية الظّالمة وتدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية عبر وضع تصوّر لنظام اقتصادي اجتماعي يعمل على تحقيق شراكة حقيقية للمواطن في الثّروة يأخذ بعين الاعتبار امكانيّات البلد ويحرّرها من التبعية ومن إملاءات المؤسسات المالية العالمية المتوحّشة.

فكرة «الإصلاح» الحيّة هي التي تعتني بثقافة الإنسان بما هي عقلية ونمط سلوك وطريقة في الحياة، وهي كما عرفها مالك بن نبي «مجموعة من الصّفات الخلقيّة والقيم الاجتماعيّة التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كراسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته»<sup>(2)</sup>. «الإصلاح» الثقافي هو ركيزة البناء الحضاري للأمم ومن دونه فإنّ كل الإنجازات والمكاسب إن تحققت لا تعدو أن تكون وهما وزبدا يذهب جفاء ولا ينفع النّاس في شيء .

الاعتناء بثقافة الإنسان تنطلق بالاستماتة في الدفاع عن الحرية كمبدأ أساسي للحياة الفرديّة والجماعيّة وترسيخ ثقافة الحوار والتسامح والقبول بالاختلاف والتعدّد وتربية النّاشئة تربية سليمة متوازنة تُحلّ قيم الأخلاق والسلوك الحسن والعمل والإتقان والابتكار والتّضامن مرتبة عالية، وتطوير الحياة الثقافيّة بما يجعلها تساهم في تهذيب الذوق الفردي والعام ودافعا للإبداع الفكري والأدبي والفني.

فكرة «الإصلاح» الحيّة هي التي تساهم في بعث الضمير الإنساني من جديد، فالعالم قد دخل في مرحلة لا يمكن أن تحلّ فيها أغلبية مشكلاته إلّا على أساس نظم الأفكار، وفي مرحلة كهذه يتحقّق على «الإصلاحيين» أن يولّوا أكبر قدر من اهتمامهم لمشكلة الأفكار، وبما أن فكرتهم تنبع من خلفيّة عروبيّة إسلاميّة تجديديّة وتنويريّة وتحرّرية فهم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بإشباع الخطاب الإسلامي بأبعاد حضاريّة وإنسانية أوسع، لإخراجه من طائفته الخانقة إلى آفاق إيمانيّة وإنسانيّة أرحب وتحريره من الاستغلال السياسي الرّخيص سواء من بعض أحزاب ما يسمّى بالإسلام السياسي أو من الجماعات الإرهابيّة المتطرّفة، وهذا لا يتم إلّا عبر «تجديد الفكر الديني».

فكرة «الإصلاح» الحيّة هي التي تدافع عن حرّية الفكر وتتبنّى كل موقف يخدم الإنسان ويعزز حريته ويحقّق مقاصد الإسلام العليا في العدل الاجتماعي والحرية ونصرة المستضعفين مهما كان مصدرها سواء جاءت من داخل الفضاء الإسلامي أو من خارجه.



الإصلاحيون  
مطالبون أكثر  
من أي وقت مضى  
بإشباع الخطاب  
الإسلامي بأبعاد  
حضاريّة وإنسانيّة  
أوسع، لإخراجه  
من طائفته  
الخانقة إلى آفاق  
إيمانيّة وإنسانيّة  
أرحب وتحريره  
من الاستغلال  
السياسي الرّخيص  
سواء من بعض  
أحزاب ما يسمّى  
بالإسلام السياسي  
أو من الجماعات  
الإرهابيّة المتطرّفة،  
وهذا لا يتم إلّا عبر  
«تجديد الفكر  
الديني»



إن مجتمعاتنا في حاجة أكيدة إلى مثل هذا الاتجاه الذي يتبنّى الإصلاح الجذري والمتدرّج منهاجاً، إصلاحاً يشمل كلّ القطاعات ويبدأ بالإنسان ويمتدّ إلى مختلف المجالات في التربية والتعليم والأسرة والعلاقات الاجتماعية والمؤسسات السياسيّة والاقتصاد والثقافة السائدة والأخلاق والسلوك



فكرة «الإصلاح»  
الحياة هي التي  
تعمل من أجل  
تأطير الشباب  
وتثويره في اتجاه  
البناء والابتكار  
وتغرس فيه فلسفة  
الحياة في سبيل  
الله بعد أن هيمنت  
عليه فلسفة الموت.  
أن نتعلم كيف  
نعيش في سبيل  
الله لنعمّر الأرض  
ونبني المشاريع  
ونضع البرامج التي  
تحررنا من التبعية  
وتحقق الرفاه  
والعيش الكريم  
للناس من حولنا،  
ذلك هو الجهاد  
الحق الذي نفتقر  
إليه



على «الإصلاحيين» أن يفكروا  
جيداً وبعمق وفق أولويات ومصالح  
المجتمع العليا، وليس استجابة لأسئلة  
يطرحها الفكر التقليدي الموروث  
أو النخب المؤدلجة أو تفرضها علينا  
العلومة وما تسوّقه لنا من أفكار.

فكرة «الإصلاح» الحياة هي التي  
تساهم في الارتقاء بالوعي البيئي  
للإنسان وتساهم مع مختلف الأطراف  
المعنية في الحفاظ على حق الأجيال  
القادمة في العيش على سطح الأرض

في بيئة سليمة وبالتالي فهي فكرة مناضلة تفضح جشع القوى العظمى واستغلالها الفاحش  
للثروات الطبيعية، مما تسبب في تغييرات مناخية خطيرة أصبحت تهدد الحياة على وجه  
الأرض وتندّر بمخاطر وكوارث رهيبة.

فكرة «الإصلاح» الحياة هي التي تعمل من أجل تأطير الشباب وتثويره في اتجاه  
البناء والابتكار وتغرس فيه فلسفة الحياة في سبيل الله بعد أن هيمنت عليه فلسفة الموت.  
يقول الكاتب السوري جودت سعيد : «في شباب العالم الإسلامي من عندهم استعداد  
لبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الإسلام، ولكن قل أن تجد فيهم من يتقدم لببذل سنين من  
عمره ليقضيها في دراسة جادة، لينضج موضوعاً، أو يصل به إلى تجلية حقيقية»<sup>(3)</sup>،  
أن نتعلم كيف نعيش في سبيل الله لنعمّر الأرض ونخدم المستضعفين والفقراء ونبني  
المشاريع ونضع البرامج التي تحررنا من تبعية قوى الاستكبار العالمي وتحقق الرفاه  
والعيش الكريم للناس من حولنا، ذلك هو الجهاد الحق الذي نفتقر إليه. لقد خلقنا الله لنعيش  
لا لنموت وما الموت إلا لحظة بين حياة وحياة.

إن الفكرة التي ترفع لواء الإصلاح في مجتمعنا يجب أن تتقدم ثقافياً قبل كل شيء  
وحينما يصير التوجه الثقافي والاجتماعي ضابطاً رئيسياً لخط سيرها ويكون التحرك  
السياسي الناضج أحد أبعاده، فإنها ستنتج في اقناع الجماهير وخاصة الشباب منهم  
وبإمكانها أن تحدث التغيير المطلوب. ستبقى فكرة الإصلاح حية وسواصل التمسك بها  
وسنعمل من أجل أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله واقعنا إلى أفضل حال. «إن الله لا  
يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»<sup>(4)</sup>

### الهوامش

- (1) انظر مقالنا «في مأزق العائلة الديمقراطية وفشل أحزابها» صدر بالعدد 76 بتاريخ 20 فيفري 2015 أي قبل اتخاذ اللجنة المركزية قرار حلّ الحزب بأكثر من شهر.
- (2) مالك بن نبي - مشكلة الثقافة. دار الفكر ، الجزائر. ص74
- (3) «حتى يغيروا ما بأنفسهم» - جودة سعيد، مدخل الكتاب ، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري الطبعة السادسة - دمشق
- (4) سورة الرعد - الآية 11

إن الفكرة التي ترفع لواء الإصلاح في مجتمعنا يجب أن تتقدم قبل كل شيئاً ثقافياً  
وحينما يصير التوجه الثقافي والاجتماعي ضابطاً رئيسياً لخط سيرها ويكون  
التحرك السياسي الناضج أحد أبعاده، فإنها ستنتج في اقناع الجماهير وخاصة  
الشباب منهم وبإمكانها أن تحدث التغيير المطلوب



## الثورة التونسية: السفسطائيون الجدد.

### المقدمة:

لقد كان للأحداث التي شهدتها القرن الماضي الأثر العميق على النّخب العربيّة، فالتأثرون بالفكر الماركسي والاشتراكية خاب أملهم مع انهيار الاتحاد السوفييتي وجدار برلين، أما المناصرون للنّزعة القوميّة العربيّة أو العروبيّون فتلقّوا ضربة موجعة منذ أحداث الخليج الأولى التي بلغت ذروتها مع سقوط بغداد وأمام هذه الهزّات فقدت النّخب العربيّة السّياسيّة والثّقافيّة القدرة على تحديد الوجهة والمسار نظرا لتسارع الأحداث وتعاقبها وأصبحت بالاضطراب وعمى الألوان، فباتت تبحث لنفسها عن مبررات فقدانها لموقعها فلا قبل لها بالسّباحة عكس التّيار ولا مصلحة لها في ذلك ولا خيار أمامها في منطق التّطور الحضاري سوى مجارة التّيار حتّى وإن كلّفها ذلك التّخلي عن ثوابتها وجوهر ثقافتها وقيمها الأخلاقيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة، فالمصلحة تقتضي التّضحية بكلّ شيء.

في هذا الواقع المضطرب لم تجد النّخب أمامها سوى أسلوب المهادنة أو المخادنة لأنظمة السّياسية القائمة على الاستبداد حفاظا على وجودها ومصالحها التي لم تتغيّر بتغيّر الظروف والأوضاع وكانت تسعى لتثبيت مكانتها ضمن تلك الأنظمة حتّى أصبحت مدافعة شرسة عنها وفكّت ارتباطها بال جماهير بل أصبحت تتحاشاها وتتهمها أحيانا بأنّها غير قادرة على فهم ما تطرحه المرحلة من تحدّيات وأخطار. في هذا الواقع الذي تلاشت فيه آمال التّغيير والخروج من الوضع المترهّل الذي باتت تعيشه النّخب الثّقافيّة والسّياسيّة، اندلعت شرارة ثورة أو انتفاضة أذهلت الجميع وأصابتهم بالدّهشة وفي فترة قياسيةّ انقلبت موازين القوى من يد حاكم مستبدّ إلى بارقة أمل جديد نحو الحريّة والانعقاد وفكّ القيود التي كبّلت العقول وكمّمت الأفواه.

أمام هذا الحراك التّاريخي أصيب الجميع بالدّهشة والدّهول وكانت النّخبة أولى الضحايا، فبعد أن كانت خارج التّاريخ والجغرافيا لم يعد لها مبرر للوقوف فوق الرّوبة. كيف تفاعلت النّخب مع هذا الواقع الجديد ناهيك وأنّ أثر الصّدمة ليس بالبسيط أو الهين ولم يعد هناك من مبرر للرّكود والجمود والمهادنة؟

لقد افرز الحراك الذي حصل في تونس نخبة مضطربة مذبذبة، فلا هي قادرة على التّخلص من تراكمات الماضي من جهة ولا هي مستعدّة لمواجهة المستقبل بروح متجددة تستجيب لمقتضيات اللحظة المبهمة والمعقدة من جهة ثانية. هذه الوضعيّة التي باتت عليها النّخب السّياسية والثّقافيّة هي التي دفعتنا إلى البحث عن طبيعة النّخبة التي



د. صالح ناللي

لقد افرز الحراك الذي حصل في تونس نخبة مضطربة مذبذبة، فلا هي قادرة على التّخلص من تراكمات الماضي من جهة ولا هي مستعدّة لمواجهة المستقبل بروح متجددة تستجيب لمقتضيات اللحظة المبهمة والمعقدة من جهة ثانية



لم يكن  
للسفسطائيين  
برامج محدّدة  
يعطونها بل كان  
لهم طريقة معيّنة  
هي التي وسمت  
مدرستهم وجعلت  
من السفسطية  
فلسفة مميزة وإن  
غير متكاملة  
ضمن نظام.  
فلسفتهم كما  
أشيع، فلسفة  
عملية الهدف  
منها التوصل  
لاكتساب  
«فنّ العيش»



ظهرت بعد الثورة أو بدأت  
ملاحمها بالظهور. لقد أعادت  
إلى ذهن الباحث دروسا تلقاها  
في مادّة الفلسفة وخاصة تلك  
التي تتحدّث عن السفسطائيين  
فحاول أن يقيم مقارنة بينهم وبين  
ما أفرزه الحراك الحاصل في  
تونس من مجموعات متنافرة  
حينا ومتجانسة حينا آخر يطلق  
عليها البعض النّخب التّونسية.  
ومن أجل فهم طبيعة وأحوال  
هذه المجموعات قلبنا صفحات



اعتمد السفسطائيون على الجدال الكلامي خاصة على الخطابة  
وما تفرضه هذه من فصاحة وبلاغة

المعرفة لنبحث في جذور هذا المفهوم وأعلامه علّنا نجد وجه شبه بين هذه المجموعات  
وبين السفسطائيين تبرر تسميتنا إيّاهم بالسفسطائيين الجدد أو إعادة إحياء السفسطائية،  
فبعض المفاهيم تظهر في واقع تاريخي ما ثمّ تغيب أو تنسى ثم تعود للظهور من جديد  
وإن بشكل غير الشّكل الذي ظهرت به سابقا.

## السفسطائيون: لمحة تاريخية.

أطلق إسم السفسطائيين بدءا من النصف الثاني للقرن الخامس قبل الميلاد على جماعة  
من الرجال المفكرين الغرباء عن أثينا والذين اتخذوا من هذه المدينة مكانا يمارسون فيه  
مهنة التّعليم معتمدين كليّا عل الإقناع. اعتمد السفسطائيون على الجدال الكلامي خاصة  
على الخطابة وما تفرضه هذه من فصاحة وبلاغة حتى أنّ كلمة جدل Dialectique  
هي من وضعهم. لذا كان إمامهم باللغة اليونانية شديدا وقد برز منهم جملة من الخطباء (1)  
لكسب عيشهم ولترويج آرائهم امتنهن السفسطائيون التّعليم، خاصة تعليم أبناء الطبقة  
الأرستقراطية (طبقة الحكّام أو الطبقة المؤهّلة لتولّي مثل هذه المناصب الرّفيعّة) تقاضى  
السفسطائيون أجورا مرتفعة لقاء تعليمهم مع إنّ احترام التّعليم لقاء أجر لم يكن بالمهنة  
المرغوب فيها لدى الشّعب اليوناني. وإلى جانب هذه الدّروس الخاصة اعتمد السفسطائيون  
إلقاء خطابات معدّة سلفا وبلغة متقّنة في المدارس العليا أو في الاجتماعات العامّة حيث  
يدفع الحضور بدلا من دخولهم. لم يكن للسفسطائيين برامج محدّدة يعطونها بل كان لهم  
طريقة معيّنة هي التي وسمت مدرستهم وجعلت من السفسطة فلسفة مميزة وإن غير  
متكاملة ضمن نظام. فلسفتهم كما أشيع، فلسفة عملية الهدف منها التّوصل لاكتساب «فنّ  
العيش». هذا مع العلم أنّهم نعتوا فلسفتهم «بالحقيقية» لما تنطوي عليه من أمور عملية.  
لاقت تعاليم السفسطائيين رواجا كبيرا في أوساط الناشئة وفي أثينا خاصة حيث صارت  
هذه المدينة ملتقى المثقفين من كل الأنحاء خاصة في عهد باركلييس الذي كان بدوره  
مولعا بالخطابة. مما تجدر الإشارة إليه أن تعاليم المدرسة السفسطائية قد شملت حقولا  
شتى من اللغة.. الشعر.. الجدال.. البلاغة.. الفنون.. السياسة وأخيرا الدين.

أطلق إسم السفسطائيين بدءا من النصف الثاني  
للقرون الخامس قبل الميلاد على جماعة من  
الرجال المفكرين الغرباء عن أثينا والذين  
اتخذوا من هذه المدينة مكانا يمارسون فيه  
مهنة التّعليم معتمدين كليّا عل الإقناع.

تقوم الفلسفة السفسطائية على الإقناع، والإقناع لا يعتمد البرهان العلمي أو البرهان المنطقي بل على الإدراك الحسي والظن وعلى استعمال لغة الخطابة والحوار الخطابي والقوانين الجدلية الكلامية بهدف الوصول إلى الإقناع بما يعتقد أنه الحقيقة. ولدعم آرائهم لجأ السفسطائيون إلى الاقتباسات الشعرية والتمثيلية وكذلك اللغة اليونانية وأضفوا عليها الكثير من سحر البلاغة.

تقوم الطريقة السفسطائية أساساً على مبدأ الشك في الموجودات وفي الوجود بالذات والشك في القيم وفي الأخلاق إلى جانب التشكيك في السياسة. فإزاء كثرة النظريات حول قضايا الوجود أو سواها أعلن السفسطائيون عدم جدوى أي منها إلا إذا نالت إحدى النظريات السبق على الأخرى وصارت معتمدة من سائر الفلاسفة. النتيجة من كل ذلك: لا حقيقة ثابتة مطلقة. ولأجل إثبات آرائهم رأى السفسطائيون أن الإنسان الفرد هو معيار الحقيقة طريقه إلى ذلك الإحساس أو جملة الإدراكات التي تقدمها القوى الحسية. وبما أن هذه تختلف من شخص إلى آخر، إذن كيف يمكن التحدث على حقيقة ثابتة ناهيك عن الحقيقة المطلقة؟ هكذا حوّل السفسطائيون الجدل حول المعرفة من علاقة الذات بالذات وصار الرأي أو الظن والتخمين معياراً للحقيقة. وهذا هو معنى عبارة «بروتاغوراس» - أحد رواد الفلسفة السفسطائية - «الإنسان هو مقياس كل شيء» بذلك انتفتت صفة المطلق عن المعرفة وصارت كل معرفة معرفة نسبية يمكن لأي فرد آخر أن يقبلها أو يرفضها أو أن ينفيها.

إذا كانت هذه هي نتائج آرائهم على الصعيد الفلسفي أو المعرفي فهي على الصعيد الأخلاقي والسياسي أقوى وأكبر خطراً. فالشك في الأخلاق يعني الانفلات من أي رابط أو وازع ويعني ترك الحرية كاملة لكل فرد ليتصرف على هواه وليأتمر بما يرتضي. وهذا ما قال به فعلاً أحد أعلام المدرسة السفسطائية «بولوس POLOS» إذ أعلن شكّه في القضاء وفي العدالة معتبراً ذلك من الأمور التي أقامها الضعفاء لحماية أنفسهم من الأقوياء والخلاصة لا موجب للانصياع لإرادة أو لسلطة القانون.

ظلت السفسطائية فلسفة سائدة وكان لها ضحاياها وأبرزهم «سقراط» الذي انبرى لكشف عيوب هذه الفلسفة وخطرها على الأخلاق خاصة أخلاق الشبيبة. فكان أن آتهم هو بذلك وحوكم وأعدم. مما يدل على عظمة نفوذهم وقد أثار ذلك تلميذه «أفلاطون» فانبرى لكشف عيوب هذه الفلسفة السفسطائية متناولاً أهم رجالاتها، جاعلاً منهم أبطال حواراته في محاولة القصد منها تسخيف آرائهم وإثبات بطلانها، وقد أعطانا بذلك، وإن بشكل غير مباشر، فكرة شاملة عن أفكارهم وأشخاصهم وطرق حوارهم.

### (1) أشهر أعلام المدرسة السفسطائية

«بروتاغوراس» (485 - 411 ق.م) ولد في «ابديرا» وتجوّل طويلاً في «سيسيلى» و«اليونان» ثم استقر زمناً في «أثينا» حيث اكتسب ثقة حاكمها «باركليس». مات غرقاً أثناء هروبه من أثينا على أحد المراكب لاتهامه بإنكاره للآلهة. أعطى «بروتاغوراس» نفسه لقب سفسطائي أي العالم. ومن هنا انطلقت هذه التسمية على هذا النوع من التعليم.



رأى السفسطائيون أن الإنسان الفرد هو معيار الحقيقة طريقه إلى ذلك الإحساس أو جملة الإدراكات التي تقدمها القوى الحسية. وبما أن هذه تختلف من شخص إلى آخر، إذن كيف يمكن التحدث على حقيقة ثابتة ناهيك عن الحقيقة المطلقة؟



تقوم الفلسفة السفسطائية على الإقناع، والإقناع لا يعتمد البرهان العلمي أو البرهان المنطقي بل على الإدراك الحسي والظن وعلى استعمال لغة الخطابة والحوار الخطابي والقوانين الجدلية الكلامية بهدف الوصول إلى الإقناع بما يعتقد أنه الحقيقة





إلى جانب  
بورتاغوراس  
وجورجياس  
اشتهر من أعلام  
الفسطائية  
«بولوس» Polos  
الذي روج آراء  
حول عدم شرعية  
القضاء و«هيباس»  
الذي شملت علومه  
حقول الرياضيات  
والفلك والشعر  
وعلم الجمال  
والأدب والتاريخ  
الذي دعا إلى العودة  
إلى الطبيعة فيما  
يخص الأخلاق

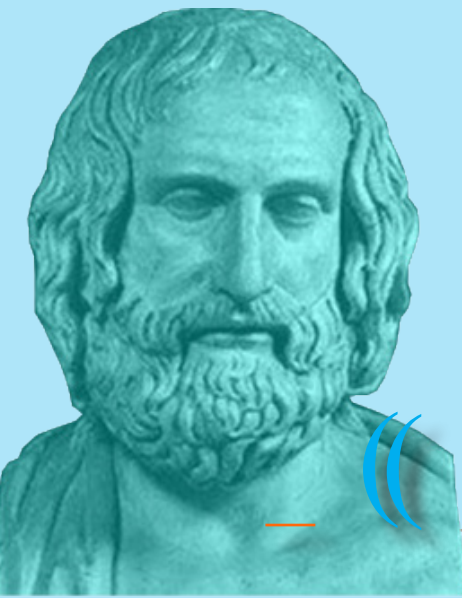


ولم تتخذ الكلمة معناها السلبي إلا بعد القرن الخامس قبل الميلاد وبعد الهجوم الذي شنه كل من «سقراط» و«أفلاطون» على هذه الفلسفة. ادعى «بورتاغوراس» المعرفة الكاملة في شتى الحقول، في الفلسفة وفي السياسة وفي الأخلاق. أثار قوله الشهير: «الإنسان مقياس كل شيء». وهو قول يتبادر منه للوهلة الأولى أنه جعل الإنسان محور هذه الفلسفة الجديدة. إلا أن الفلسفة السفسطائية ما تمتلّت هذا القول إلا لتثبت عبره عدم إيمانها بحقيقة مطلقة. ذلك أن السفسطائية قد ردت الإنسان إلى جملة حواس وهذه القوى الحيّة تختلف باختلاف الشخص وباختلاف تكوينه أو نشأته أو قدراته. فالوجود الخارجي ليس مستقلاً بذاته، بل وجوده أو الحكم عليه إنّما يتعلّق مباشرة بأدراك الفرد له. وبالتالي فإنّ الأحكام التي نطلقها على الخارج كقولنا: هذا خطأ أو صواب، جميل أو قبيح لا قيمة لها في ذاتها بل بعلاقتها بالشخص الذي يطلقها وهذا فرد، فالأحكام فردية إذن ولا تعني أي فرد آخر سواه. انطلاقاً من هذا المنهج فاجأ «بروتاغوراس» الأثينيين بشكّه بالآلهة معلناً «أما الآلهة فلا أستطيع أن أجزم بوجودها أو عدم وجودها ولا أن أتصوّر أشكالها وهناك من العوائق الكثيرة ما يحول دون الوصول إلى المعرفة الصحيحة منها غموض الموضوع وقصر حياة الإنسان». أثار قوله هذا ضجة كبيرة حوله فرُمي بالإلحاد واضطر للهروب حيث توفي غرقاً.

(جورجياس 375-483 ق.م) أصله من مدينة «صقلية» حضر إلى «أثينا» أيضاً ولاقت دروسه فيها رواجاً كبيراً، وكان «سقراط» من جملة الذين حاورهم. وضع كتاباً سمّاه «الطبيعة واللاوجود». وفيه يساوي بين الوجود وعدمه وذلك انطلاقاً من مقدّمات وضعها أو آمن بها. وهي تقوم على اعتبار «أن لا شيء موجود وإذا وجد فليس من السهل معرفته وإذا عرف فليس من السهل إيصال هذه المعرفة أو تمريرها من فرد إلى فرد». تستند المقولة الأولى إلى بعض مبادئ الفلسفة الإليّة التي لا تعتبر في الموجودات إلا صفة الوجود، إمّا نشأة من العدم وهذا مستحيل وإمّا أن الموجودات تتسلسل من موجودات سابقة قبلها وبذلك تنتفي صفة البداية عن الوجود. من ذلك استنتج «جورجياس» أن لا شيء موجود. أمّا المقولة الثانية فتستند إلى مبدأ الفلسفة السفسطائية بالذات وهي أنّ معرفتنا بالشيء لا تتعدّى إطار الإدراك الحسيّ له فما غاب عن الحسّ لا يدرك. فبذلك تقتصر المعرفة على بعض جوانب الشيء ولا تصل إلى ماهيته. أمّا المبدأ الثالث وهو سفسطائي أيضاً فيقوم على اعتبار أنّ الإدراك الحاصل بطريق الحسّ إنّما يخصّ الفرد الذي توصّل إليه ولا يعتبر ذلك حقيقة مطلقة يمكن أن تنقل من شخص إلى آخر.

إلى جانب هذين العلمين من أعلام السفسطائية تجدر الإشارة إلى «بولوس» Polos الذي روج آراء حول عدم شرعية القضاء وكذلك «هيباس» الذي شملت علومه حقول الرياضيات والفلك والشعر وعلم الجمال والأدب والتاريخ الذي دعا إلى العودة إلى الطبيعة فيما يخصّ الأخلاق.

فاجأ «بروتاغوراس» الأثينيين بشكّه بالآلهة معلناً «أما الآلهة فلا أستطيع أن أجزم بوجودها أو عدم وجودها ولا أن أتصوّر أشكالها وهناك من العوائق الكثيرة ما يحول دون الوصول إلى المعرفة الصحيحة منها غموض الموضوع وقصر حياة الإنسان»



## (2) السفسطائيون الجدد.

على اثر الحراك الاجتماعي الذي عرفته البلاد التونسية منذ ديسمبر 2010 والذي انتهى بهروب الرئيس وما أعقبه من فراغ في السلطة، ابتدأ حراك جديد تمحور حول سد الفراغ وانتشال الشعب من عقود الظلم والقهر السياسي والتأثيث لمرحلة جديدة من الحكم الديمقراطي وقد تجلّى هذا الحراك في ظهور مجموعات من الإعلاميين والحقوقيين وأسسوا نواة « المجتمع المدني » وهي مجموعة تحمل إرثا إيديولوجيا لم يعد يملك شرعية وجوده باعتباره يحمل جذور موته وهي نفسها المجموعات التي عملت على تحييد المثقفين في العهد السابق عن القيام بأي فعل سياسي أو ثقافي فقد احتكرت الساحة لصالحها وتخلّصت من خصومها وخصوم النظام الاستبدادي الذي ارتبطت معه مجموعة من المصالح، فلم تتقدّم بمبادرات إصلاح بل كانت ترى أنّ الطرف الوحيد القادر على الانجاز هي السلطة الحاكمة وما عليها إلاّ مباركة ما تقوم به والعمل على إنجاحه باعتبار ذلك واجبا وطنيا.

هذه المجموعات التي تخلت عن مبادئها النضالية في السابق فبعد أن كانت تستمد وجودها من الجماهير الشعبية التي تدعمها وتشجعها على الصمود أضحت اليوم لا ترى في هذا الزخم الشعبي فائدة وأنّ مصدر قوتها إنّما يكمن في التماهي مع السلطة السياسية القائمة. لقد جرت الوقائع والأحداث على عكس ما كانت تبغي ودوام الحال من المحال وعجلة التاريخ لا تتوقف عن الحركة في زمن معين وإن كان سيرها بطيئا. وحتى تحفظ لنفسها البقاء أو تضمن لنفسها مكانا ومقعدا في المشهد الجديد، فالإعلاميون صموا الأذان بالبرامج الحوارية التي باتت الثورة والثوار الخبز اليومي واندفعوا إلى المناطق النائية يحملون ألامها وخيباتها التي كانوا يجهلون بسبب الاستبداد فكاميراتهم لم تكن قادرة على تصوير ذلك الواقع المرّ بل كانوا ينقلون للمشاهد كيف يستمتع التونسيون في ربوع البلاد شرقها وغربها، شمالها وجنوبا بأنعم الحاكم الذي يسهر على راحة التونسيين وهم يغطّون في سباتهم العميق. أمّا الحقوقيون فلفرط ما وقّروه من عدل وما قدّموه من تضحيات ونكران للذات بات همهم الوحيد أن يحصل كلّ تونسي على حقوقه كاملة دون نقصان وهم الذين تاجروا لعقود طويلة بهموم الناس وآلامهم وعقدوا الصفقات المشبوهة مع المستبد في محاكمات صورية جائرة تفنقر لأدنى شروط العدالة والإنصاف.

أما المجموعة الثالثة فقد مثّلها من يدّعون أنّ لهم باعا في عالم السياسة فاستغلّوا العقول الفارغة التي ورّثهم إيّاها الاستبداد، شباب تاه بين الألم والأمل ولم يعد يفقه من السّير غير تبديل الخطى لا يدري أين تسوقه قدماء والأقدار. انبرت هذه المجموعة للتّنظير العقيم الذي لا يغني ولا يضمن من جوع فقد أخذت على عاتقها الخروج بالجميع نحو عالم من الخيال لا يتحقق إلا في قصص الأطفال.

وبعد هدوء العاصفة يتساءل المرء عما تحقق وعما يمكن أن يتحقّق في ظلّ هذه الغوغاء الكلامية والجهل بمتطلبات المرحلة وتكرار الماضي بكل أخطائه ومغالطاته وعدم الاعتبار من التاريخ والاستفادة من تجارب الأمم السابقة. أعادت هذه المجموعات البلاد والعباد إلى المربع الأول لذلك أليس من حق الباحث أن يطلق عليهم «السفسطائيين الجدد»؟ ألم ينقادوا إلى حتفهم كما حصل لمن سبقهم من السفسطائيين ؟

### الهوامش.

(1) الموسوعة العربية، المجلد التاسع.

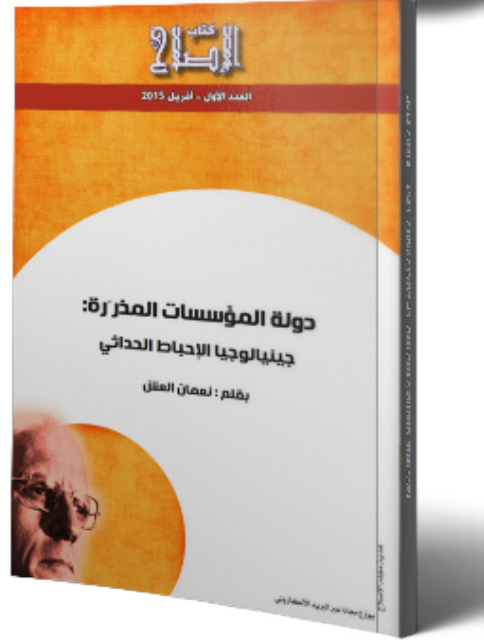


يتساءل المرء عما  
تحقق وعما  
يمكن أن يتحقق  
في ظل هذه الغوغاء  
الكلامية والجهل  
بمتطلبات المرحلة  
وتكرار الماضي  
بكل أخطائه  
ومغالطاته وعدم  
الاعتبار من التاريخ  
والاستفادة  
من تجارب الأمم  
السابقة. أعاد  
السفسطائيون  
الجدد البلاد  
والعباد إلى المربع  
الأول وانقادوا  
إلى حتفهم كما  
حصل لمن سبقهم  
من السفسطائيين.



## لتحميل الكتاب اضغط على الرابط

## كتاب الإصلاح



### الكتاب الثاني - ماي 2015

العنوان: نحو تقويم تربوي جديد المؤلف: د. جميل حمداوي  
عدد الصفحات: 80 ص. ISBN: 978-9938-14-094-1

#### رابط التحميل

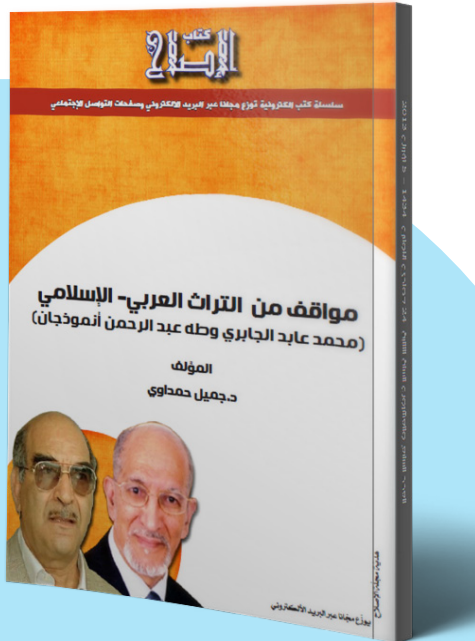
[http://alislahmag.com/livre\\_2.pdf](http://alislahmag.com/livre_2.pdf)

### الكتاب الأول - أفريل 2015

العنوان: دولة المؤسسات المذرة المؤلف: نعمان العش  
عدد الصفحات: 39 ص. ISBN: 978-9938-14-095-8

#### رابط التحميل

[http://alislahmag.com/livre\\_1.pdf](http://alislahmag.com/livre_1.pdf)



### الكتاب الرابع - جويلية 2015

العنوان: مواقف من التراث العربي الاسلامي المؤلف: د. جميل حمداوي

عدد الصفحات: 68 ص. ISBN: 978-9938-14-126-9

#### رابط التحميل

[http://alislahmag.com/livre\\_4.pdf](http://alislahmag.com/livre_4.pdf)

### الكتاب الثالث - جوان 2015

العنوان: من الجماعة الإسلامية إلى حركة النهضة المؤلف: مجموعة من المؤلفين

عدد الصفحات: 170 ص. ISBN: 978-9938-14-104-7

#### رابط التحميل

[http://alislahmag.com/livre\\_3.pdf](http://alislahmag.com/livre_3.pdf)



## حول المقاربات الجديدة للنص الديني

قرأت في العدد 85 من مجلة «الإصلاح» مقالة الأستاذ «عبد المجيد بن براهيم» حول نقد المنظومة الأصولية القديمة والتي أشار فيها إلى بعض التناقضات التي حوِّثها والخلفيات التي كانت وراءها خاصة في ما استُحدث من أصول لمواجهة تطورات الواقع وهو ما أثار في ذهني التساؤل حول منجز ومآلات المقاربات الجديدة للنص الديني بعد عقود من التفكير بذلك. والحقيقة أنّ موضوع التجديد في مقاربة النص الديني والتراث عموماً من المواضيع والأسئلة التي تعود إلى بدايات عصر النهضة في القرن التاسع عشر مع «محمد عبده» و«الطهطاوي» و«قاسم أمين» وغيرهم في مختلف البلدان العربية. وقد شهدت العقود الأخيرة تراكمًا كمّيًا مهمًا في عدد الكتب والمقالات والدراسات التي تناولت هذا السؤال بالنظر. كما ظهرت عدّة مشاريع فكرية لأسماء مهمة حاملة همّ دراسة التراث ومفكرة في آليات مقاربتة وخاصة مقاربة النص القرآني الذي يمثل النص المركزي في التراث العربي الإسلامي ومن بينهم «محمد أركون» و«حسن حنفي» و«أبو القاسم حاج حمد» و«محمد عابد الجابري» و«عبد المجيد الشرفي» وآخرين كثر. وفي الكثير من النقد الموجه لهذا التراث وخاصة المقاربة القديمة في قراءة النص الديني والمحسوبة على «الإمام الشافعي» كمؤسس لعلم الأصول، نلاحظ نوعاً من الاتهام وتحميل المسؤولية لعلماء تلك المرحلة بأنهم بنوا نسقاً مغلقاً وسياجاً عطلّ لقرون عديدة امكانية التطور في تأويل النص الديني في حين أنّ الإشكالية هي في من جاء بعدهم والذين تمسكوا بالقديم وحتى إن حاولوا التجديد فإنهم لم يستطيعوا الإتيان ببديل مقنع.



توفيق الشابي

من المهم الوعي بأن القدماء اجتهدوا ضمن شروط تاريخية معينة ونجحوا ضمن تلك الشروط الصعبة في إنجاز بناء كان قادراً على الصمود لعقود وبالتالي فإنه لا مبرر لإدانتهم والتقليل من شأن إبداعاتهم. بالتأكيد هي في حاجة للمراجعة ومراجعة عميقة أحياناً وذلك ضمن التطورات الجديدة للواقع والوعي الانسانيين. إنّ الإيمان بنسبية الأفكار وبأهمية التراكم في مجال انتاج المعرفة من القيم الضرورية التي يجب أن تكون لدى أي باحث لأنّ أية معرفة هي تاريخية بالضرورة ولا يمكن أن تكون مطلقة، ينطبق ذلك على أيّ منها، قديماً كان أم جديداً.

من المهم الوعي بأن القدماء اجتهدوا ضمن شروط تاريخية معينة ونجحوا ضمن تلك الشروط الصعبة في إنجاز بناء كان قادراً على الصمود لعقود وبالتالي فإنه لا مبرر لإدانتهم والتقليل من شأن إبداعاتهم.



يمكن اختصار  
الرؤى الفكرية  
الجديدة حول  
مقاربة النص  
الديني إلى رؤيتين.  
الرؤية الأولى ذات  
منحى توفيق بين  
التراث والحداثة،  
فهي لا تقطع  
مع التراث وتستفيد  
أكثر ما يمكن  
من الحداثة  
وخاصة على  
صعيد المناهج.  
الرؤية الثانية  
أكثر جذرية  
في قطعها مع التراث  
وتعطي الأولوية  
المطلقة للحداثة  
على النمط  
الغربي وخاصة  
في موقفها  
من الدين وموقعه  
في المجتمع.



إنّ قراءة عامّة لما كتب خلال  
العقود الأخيرة حول المقاربات  
الجديدة للنص الديني يمكن أن  
تقودنا إلى بعض الأفكار حول  
واقع هذه الدراسات:

- اتّساع دائرة المهتمّين  
بهذا الموضوع. فبعد أن كان  
يُناقش في دائرة ضيّقة من نخبة  
محدودة العدد أصبح أكثر تداولاً  
وعلى نطاق أوسع في المجالات  
والصحف والمنشورات. هذا  
الأمر يعني ازدياد الوعي بأهمية  
الموضوع وإلحاحيته أيضاً على الفكر العربي الإسلامي المعاصر والذي لم يستطع إلى  
حدّ الآن حسم هذه الإشكالية وهو ما شكّل عائقاً أمام تقدّم العرب ليكون لهم موقع في  
المستقبل.

- يمكن اختصار الرؤى الفكرية الجديدة حول مقاربة النص الديني إلى رؤيتين.  
الرؤية الأولى ذات منحى توفيق بين التراث والحداثة، فهي لا تقطع مع التراث وتستفيد  
أكثر ما يمكن من الحداثة وخاصة على صعيد المناهج. الرؤية الثانية أكثر جذرية في  
قطعها مع التراث وتعطي الأولوية المطلقة للحداثة على النمط الغربي وخاصة في  
موقفها من الدين وموقعه في المجتمع. وهي تعتبر التراث كلّ التراث موضوعاً للنقد  
من أجل البحث عن مزيد من الحجج لتأكيد تخلف هذا التراث وضرورة الانخراط في  
كلّ ما جاءت به الحداثة الغربية. ما يمكن ملاحظته هو أنّ جزءاً من هذه المقاربات  
يبدو مشحوناً بخلفية أيديولوجية من شأنها أن تفقدها الموضوعية المطلوبة في الدراسات  
الفكرية.

- مع الكمّ المهمّ للدراسات والبحوث التي كتبت في هذا الموضوع في العقود الأخيرة  
وبروز عدّة مشاريع فكرية تنصّد لهذا الموضوع لمفكرين كـ «الجابري» و«حسن  
حنفي» و«محمد أركون» وغيرهم، فإنّ المشهد العام لكلّ هذه الكتابات يعكس نوعاً من  
التشتت. يعني أننا لسنا أمام مشروع أو مشاريع متكاملة قادرة على الإحاطة بالسؤال من  
كل جوانبه وتقديم إجابات مقنعة يمكن أن تكون بديلاً عن المنظومة القديمة في مقاربة  
النص الديني.

- ربّما التّقدم الذي حصل في تناول الفكر العربي لهذا الموضوع هو تفكيك السؤال،  
إن صحّ التعبير، والانتباه إلى عدّة زوايا نظر في مقاربة النص الديني. غير أنّ منهجية  
التعامل مع النص الديني وموقع العقل والواقع منه وحدود هذا الثلاثي في العملية التأويلية  
ما زالت لم تتضح بعد.

برغم الكمّ المهمّ للدراسات والبحوث التي كتبت في موضوع  
التراث خلال العقود الأخيرة فإننا لسنا أمام مشروع أو مشاريع  
متكاملة قادرة على الإحاطة بالسؤال من كل جوانبه  
وتقديم إجابات مقنعة يمكن أن تكون بديلاً عن المنظومة  
القديمة في مقاربة النص الديني





إنّ التأسيس لمنهجية واضحة في مقارنة النصّ الديني من اللّوازم التي لا بدّ منها وإلاّ فإنّ عملية القراءة ستكون اعتباطية ونتائجها غير مقنعة بل قد تقود إلى التناقض الذي يفقدها المصداقية ولن تقدر على أن تكون بديلا عن المنهجية التقليدية في التعامل مع النصّ الديني. عندما نتحدث عن منهجية لا نقصد آلية مغلقة ونهائية بل يجب أن تحمل في طياتها القابلية للتطور والتفاعل مع تطورات الواقع والمنجزات الجديدة للعقل البشري.

- مع التّقدم المهمّ في التّناول النظري لهذا الموضوع لدى بعض المفكرين أصحاب المشاريع، فإنّ الجانب التطبيقي كان غائبا وحتى إن وجدت بعض المحاولات التطبيقية فإنّها بقيت جزئية واقتصرت على مواضيع ذات بعد سياسي كموضوع المرأة وقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، لكنّ القضايا الملامسة للمجتمع ولحياة النّاس بقيت غائبة عن المقاربات الجديدة.

- أمام هذا الواقع هل نحن في حاجة إلى وقفة تأمل في كلّ ما أنجز حول هذا الموضوع؟ أعتقد ذلك، وأولا من أجل التّجميع والإحاطة بأغلب هذا المنجز ليكون مادة بحثية في متناول الجميع وأيضا لتحديد النّجاحات التي يجب البناء عليها والإخفاقات التي يجب تجاوزها. إنّ هذه الوقفة من شأنها أن تمكّن الأجيال الحاضرة والباحثون الجدد من الانطلاق وهم على وعي بما أنجز وبرؤية واضحة لأهداف البحث ما ييسّر عملية التّفكير في الموضوع ويوجّهها إلى الأسئلة الحقيقية ويقيها من الاجترار والتّكرار، وهو ما سيمكننا من ربح الكثير من الوقت خاصّة بعد ضياع أكثر من قرن في تفكير لم يصل بعد إلى نتائج يمكن أن تمثّل بديلا عن المقاربات القديمة.

أعتقد أن ذلك من شأنه أن يبدأ من قراءات متأنية لمشاريع أبرز المفكرين الذين حاولوا أن يقدّموا مشاريع متكاملة مثل «محمد عابد الجابري» و«حسن حنفي» و«مالك بن نبي» و«محمد أركون» و«أبو القاسم حاج حمد» و«طه عبد الرحمان» و«عبد المجيد الشرفي» و«محمد الطالبي» وغيرهم كثير ممّن لهم إسهامات في هذا المجال. طبعاً، هذه الوقفة ليست بالأمر الهين الذي يمكن أن ينهض به بعض الأفراد إنّما هو جهد جماعي لا يمكن أن تقوم به إلاّ مؤسسة أو مؤسسات متخصصة مؤمنة بهذا المشروع وبحيويته لبناء مستقبل عربي أفضل.

- مهندس

tchebbi@yahoo.com

إنّ التأسيس  
لمنهجية واضحة  
في مقارنة النصّ  
الديني من اللّوازم  
التي لا بدّ منها  
والإفان عملية  
القراءة ستكون  
اعتباطية ونتائجها  
غير مقنعة بل قد  
تقود إلى التناقض  
الذي يفقدها  
المصداقية  
ولن تقدر على  
أن تكون بديلا  
عن المنهجية  
التقليدية  
في التعامل  
مع النصّ الديني.





## هل الإرهاب سببه الفقر والجهل؟

يقولون: «الإرهاب سببه الفقر والجهل»

مواطن العالم د. محمد كشكار يجتهد ويقول: يبدو لي أن للإرهاب سببان: سببه الأول هو انتشار التعليم العالي العلمي المتجاهل للقيم الإنسانية الكونية (Les connaissances scientifiques ne changent pas les valeurs morales)، وسببه الثاني هو تفشي التعليم العالي الديني التكفيري السني والشيوعي المتجاهل لتدريس علم اجتماع الأديان والدين المقارن (اختصاص المفكر الإيراني علي شريعتي). 1. أبدأ بالسبب الوهمي الأول وأحاول تفنيده دون إطالة رغم أن المسألة معقدة وتتطلب الإطالة:

- بدأ إرهاب الدولة الغربي الحديث مع بداية الاستعمار الغربي في أواخر القرن التاسع عشر. دول غربية غنية جداً ومتطورة جداً تحتل دولاً فقيرة وترهب شعوبها، ومن أخطر هذه الدول الديمقراطية في الداخل الإرهابية في الخارج: أمريكا، دولة لقيطة تأسست على جثث عشرة ملايين هندي من سكان أمريكا الشمالية الأصليين، ومنذ نشأتها من حوالي 500 سنة شنت 200 حرب هجومية على دول ضعيفة. بريطانيا احتلت الهند وفعلت فيها ما فعلت. فرنسا استوطنت ظلماً الجزائر وقتلت مليون مواطن جزائري أعزل. أغنى أغنياء العالم اليهود الصهاينة الغربيون أسسوا ومولوا إرهاب الجماعات ثم حولوه إلى أعتى إرهاب دولة في التاريخ الحديث. ولا زالت كل الدول الغربية حتى اليوم تباع الأسلحة المتطورة لجميع المنظمات الإرهابية الإسلامية التكفيرية الجهادية، «تبيع القرد وتضحك على شاريه»، تزود «داعش» بالسلح باليمين وتدعي محاربتها بالشمال.

- بدأ إرهاب الدولة الإسلامي التكفيري الحديث السني والشيوعي مع بداية ازدهار البترودولار الخليجي والإيراني في سبعينات القرن العشرين. إيران ودول عربية خليجية غنية جداً ومتخلفة جداً (غنية بثرواتها النفطية التي خلقها الترسيب الجيولوجي عبر ملايين السنين ولم تخلقها عقول الإسلاميين التكفيريين ولا سواعدهم) بدأت تنشر في جميع أنحاء العالم الفكر الإسلامي التكفيري السني والشيوعي (مولد الإرهاب) وتؤسس منظمات إسلامية تكفيرية إرهابية (مثل القاعدة التي أسسها أغنى أغنياء السعودية وهي تابعة وممولة من عدة دول إسلامية عربية وأعجمية) وتسليح مجاهديها بسلاح أمريكي بدعوى محاربة الشيوعية.

2. أنهى باقتضاب بعرض السبب الوهمي الثاني:

يبدو لي أنه كلما زاد مستوى التعليم زادت القابلية والقدرة على الاطلاع على الفكر السلفي الغزير المتطرف (أكثر القادة الميدانيين للمنظمات أو الأحزاب الإرهابية هم من خريجي العلوم الصحيحة والتجريبية) أما الجاهل فمن المفارقات الكبرى أن جهله قد يحميه من التفقه في الفكر الديني التكفيري لأنه عموماً لا يقرأ وإن قرأ لا يفهم لذلك يبقى طيلة حياته التكفيرية يخدم شيوخه المتعلمين ولا يخطط ولا ينفذ العمليات الإرهابية النوعية: من نفذ 11 سبتمبر؟ الراسخون في العلوم الصحيحة. من نفذ في تونس عمليات رواد ووادي الليل وباردو وبن عون وأخيراً سوسة؟ طلبة ومعلمون وأساتذة. من أفتى؟ الراسخون في العلوم الدينية التكفيرية. ولنا أسوة في المهندس بن لادن والطبيب الظواهري اللذان حازا -والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سوام وبامتياز على الصنفين من العلوم.



د. محمد كشكار

## حركة النهضة وفضة المناورة السياسية [الجزء الرابع والأخير]

### تجربة الترويكا:

تجربة في التجديد السياسي أم هي خضوع لبعض مكاره الحكم؟

منع القانون الانتخابي (قانون التمثيل النسبي) من استئثار حزب حركة النهضة بالأغلبية المطلقة ومكّنها من نسبة لا تتجاوز 41 بالمائة وما أفرزته الانتخابات من نتائج أكد رغبة حركة النهضة في بناء حكم ائتلافي توافقي في المرحلة الانتقالية ولم تكن هذه الرغبة محكومة بشروط التوافق الفكري أو السياسي أو التناسب بين البرامج والأهداف وإنما كانت محكومة بتوازنات حزبية أفرزتها الانتخابات التشريعية فكانت الترويكا تجربة من تجارب الحكم التوافقي المحكوم بدوره بكثير من معالم الإكراه السياسي الذي تجلّت آثاره سريعا في ذلك الاختلاف في منهجية التسيير والتباين في تبويب الأولويات بالنسبة للأحزاب الثلاثة المكونة لأجنحة الحكم في حكومة الترويكا.

أصاب الخلل المنهجي في مبدأ التوافق وتناقضاته حزبي المؤتمر من أجل الجمهورية وحزب التكتل من أجل العمل والحريات وطفّت على السطح خلافات جوهرية كشفت ضعف التحالف ووهن التوافق وبدأت مظاهر التناقض بين أولويات كل حزب من الأحزاب الثلاثة حاسمة في كشف ملامح الصراع والتنافر.

كانت الترويكا تجربة سياسية متسرّعة وارتجالية حكمتها نتائج الانتخابات ولم تكن توافقا حقيقيا في الرؤية والغايات والمنهج، لقد كانت رسالة سياسية حاول من خلالها حزب حركة النهضة الإجابة عن أسئلة خصوم السياسة والفكر من الأحزاب التونسية وأسئلة الغرب المرتاب من حكم ملوّن بألوان الإسلام السياسي، ولذلك بدت عناصر الفشل أقوى من عناصر النجاح واهتزّت في هذه التجربة عناصر الترابط الحزبي لمكونين أساسيين هما حزبا المؤتمر والتكتل وأدركت النهضة عسر المرحلة وغموض المسار.

في تلك المرحلة الانتقالية الأولى خاضت حركة النهضة صراعا ثنائيا استنزف جهدها التنظيمي واستقرغ قدرتها على المناورة، فقد واجه نواب حركة النهضة في المجلس التأسيسي خصوم السياسة والايديولوجيا وعمّق تفكّك حزبي المؤتمر والتكتل عزلة الحركة واستعادت تلك الأحزاب معارك الدين والدولة وفي المشهد الحكومي غدت أحزاب المعارضة المطالبة واستعانت بالمنظمات النقابية في توسيع دائرة الاحتجاج الاجتماعي وتجاوزت الخصومة السياسية كل حدّ واستعان خصوم النهضة بألة إعلامية تفنّنت في صناعة معارك وهمية لتحريف المسار واستنزاف الجهد الثوري وتزييف الوعي.



محمد المولدي الداودي

كانت الترويكا تجربة من تجارب الحكم التوافقي المحكوم بدوره بكثير من معالم الإكراه السياسي الذي تجلّت آثاره سريعا في الاختلاف في منهجية التسيير والتباين في تبويب الأولويات بالنسبة للأحزاب الثلاثة المكونة لأجنحة الحكم.

## الاغتيال السياسي وفن الاستثمار في الدم

لم يكن اغتيال المناضلين السياسيين شكري بلعيد يوم 2013/02/06 والحاج محمد البراهمي يوم 2013/07/25 بالحدث العابر في التاريخ التونسي المعاصر بل لقد أضحت الاغتيال السياسي عنصرا من عناصر اللعبة السياسية العنيفة والقاتلة والغامضة التي أعادت رسم مكونات اللوحة السياسية ضمن إطار من الخوف الذي دفع كل المجموعة الوطنية ومنها الأحزاب «الثورية» إلى إعادة القراءة في المسارات والمآلات والمنهج والطريقة... بعد الاغتيال لم تعد الثورة في مفهومها السياسي (قانون تحصين الثورة) ولا الإداري (مقاومة الفساد) ولا الأمني (الأمن الجمهوري والجيش الوطني) ولا الاجتماعي (التنمية والعدالة) هي المستهدفة جذريا وإنما استهدفت المكونات البنائية للدولة ومنها وحدة الشعب والسلم الأهلي وفي تلك المرحلة حاولت النهضة حمل الدولة بيد وحمل الثورة باليد الأخرى وأدركت حكمة السياسة وغلبت راية الوطن على راية الحزب.

### المشهد المصري: العودة إلى دائرة المحنة.

مرّة ثانية يلتقي المشهد السياسي التونسي بالمشهد السياسي المصري ويتناظران، ففي 25 فيفري 2011 التقط الشارع المصري في القاهرة صدى الثورة التونسية وسار في مساراتها وفي 2013/07/03 وما بعدها التقط الشارع التونسي في باردو صدى الانقلاب المصري واستعار منهجه وأدواته ودفع البعض من خصوم السياسة في تونس المدفوع بمشهد استباحة الدم المصري في الشوارع والساحات دفع فصيلا من المعارضة إلى محاكاة الواقع المصري غير عابئ بتكلفة الدم والإنسان، وفي تلك المرحلة تداخلت العناصر المشكّلة للعلامة الانقلابية من مكونات الدولة العميقة ورموزها السياسية وخصوم الفكر والسياسة وأموال الخليج الخائف والمتربّص بالربيع العربي والإعلام المدفوع الأجر ودوائر المخابرات العربية والأجنبية ومحترفي الإرهاب السياسي والديني...

في تلك المرحلة استفادت حركة النهضة من الدرس المصري القاسي والدّامي وأدركت بحكمة بالغة المسارات وخيّرت السير عبر توازنات دقيقة تحفظ فيها كيان الدولة وكرامة الثورة.

محنة النبتة في أرض صلبة صلدة لا تصلح للنبات ومحنة الفكرة في أرض متحوّلة متحرّكة لا تدرك الثبات ومحنة السياسة فكّ لغة الواقع ومحنة التغيير فهم شروط تحقّقه. النهضة جماعة واتّجاه وحركة.. هذا مسار التاريخ في حكايتها وهي المحنة والابتلاء في حديث أهلها وهي مدرسة من مدارس الفكر الإسلامي الحديث جرّبت فتنة الفكرة ومحنة الحكم، وأدركت تلك المسافة الفاصلة بين جاذبية الخطاب الإيديولوجي أو السياسي أو الثوري ومعركة البناء الواقعي.. أخطأت أحيانا في تقدير مسافات الفصل والوصل مع بقية الأحزاب والمنظمات والهيئات وأخطأت أحيانا كذلك في اتجاهات السير واكتشاف النهايات ولكنها لم تخطئ أبدا في عناوين الوطن.

النهضة اليوم جمع من الرؤى الفكرية والدينية والسياسية يحتاج إلى صهر وصقل وتجربة في الحكم أرست فكرة التوافق تحتاج إلى نضج، والنهضة اليوم جسم حيّ عمره خمسة وأربعون عاما أوله جيل الدّعوة وآخره جيل الثورة.... وما بينهما أسئلة التاريخ والإنسان.

- أستاذ تعليم ثانوي

sbibadaoudi@gmail.com

النهضة اليوم  
جمع من الرؤى  
الفكرية  
والدينية  
والسياسية يحتاج  
إلى صهر وصقل  
وتجربة  
في الحكم أرست  
فكرة التوافق  
تحتاج إلى نضج،  
والنهضة اليوم  
جسم حيّ عمره  
خمسة وأربعون  
عاما أوله جيل  
الدّعوة وآخره  
جيل الثورة....  
وما بينهما أسئلة  
التاريخ والإنسان





## الكيان الصهيوني بين التشدد الرسمي والتطرف الشعبي

«ميري رغيغ» وزيرة الثقافة في الحكومة الإسرائيلية التي تدعو إلى طرد العرب، وتطهير «أرض إسرائيل» منهم، تعتبر أن حادثة الاعتداء على عائلة «دوابشة» في مدينة «نابلس» فجر يوم الجمعة، كانت تعبيراً عن حالة اليأس والإحباط التي يعيشها المستوطنون الإسرائيليون، وأن الحكومة الإسرائيلية تتحمل كامل المسؤولية نتيجة لقرار وزير الدفاع «موشيه يعلون»، الذي أمر بهدم وحدتين سكنيتين في مستوطنة «بيت إيل»، وهي تحمل «يعلون» المسؤولية الأخلاقية عن سوء معاملة جيشه للمستوطنين الإسرائيليين، وتتهمه بأنه يعاملهم بقسوة تماماً كتعامله مع «المخربين» الفلسطينيين، وأنه يأمر جنوده بالتعامل معهم بعنف وقوة.

وترفض «ميري» رغيغ وصف العملية التي ارتكبتها المستوطنون بأنها عملية إرهابية، وترى لو أن الحكومة الإسرائيلية ورئيسها استجابت إلى طلبات وطموحات المستوطنين، ما كانت هذه المجموعة اليهودية الغاضبة لتقدم على القيام بهذه العملية، التي هي في حقيقتها رسالة إلى الحكومة الإسرائيلية بضرورة الالتزام ببرنامجه الاستيطاني التي تعهدت به، قبل أن تكون رسالة إلى الفلسطينيين بالتوقف عن القيام بعمليات «إرهابية» ضد المصالح الإسرائيلية، وهي بذلك تدعو رئيس حكومتها لمراجعة مواقفه والالتزام ببرنامجه الانتخابي والائتلافي، الذي على أساسه نجح في الانتخابات وفي تشكيل حكومته، وإلا فإن عليه انتظار المزيد من هذه العمليات، إذ ماذا يتوقع من ناخبيه إن هو استمر في سياسته، وواصل خداع ناخبيه.



د. مصطفى يوسف اللداوي

وبالقرب من بلدة «دوما» جنوب «نابلس»، قام مستوطنون يهود إثر جريمة حرق الطفل «دوابشه»، بالاعتداء على مزارعين في قرية «قصره»، وهجموا عليهم في أرضهم الزراعية بالجرارات والسيارات، محاولين إخراجهم من أرضهم بالقوة، بينما يقف جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي بالقرب منهم، يرصدون ويراقبون، ولكنهم يحمون المستوطنين، ويحولون دون قيام الفلسطينيين بالرد عليهم، أو منعهم من اجتياح أرضهم والاعتداء عليهم، وفعلاً قاموا بإطلاق النار والقنابل المسيلة للدموع، عندما رأوا الفلسطينيين أصحاب الأرض يستमितون في الدفاع عن أرضهم، ويصدون محاولات المستوطنين بصدورهم العارية، وسواعدهم الأبيّة، وقبضاتهم القويّة، القابضة على الحق، والتمسكة بالأرض، وهم على أتمّ الجهوزيّة للاستشهاد على أرضهم

تعتبر «ميري» وزيرة الثقافة الصهيونية عملية الاعتداء على عائلة دوابشة رسالة إلى الحكومة الإسرائيلية بضرورة الالتزام ببرنامجه الاستيطاني التي تعهدت به، قبل أن تكون رسالة إلى الفلسطينيين بالتوقف عن القيام بعمليات «إرهابية» ضد المصالح الإسرائيلية.



ينتصب قضاء  
الدولة العبرية،  
بحزم أمام  
الفلسطينيين  
ليصدر بحقهم  
أحكاماً بالسجن  
تصل إلى مئات  
السنوات، وفي  
السجون والمعتقلات  
يهانون ويعذبون،  
ويضطهدون  
ويحرمون،  
ويقاسون الويلات  
نتيجة سياسة  
مصلحة السجون  
وتصرفات عناصرها



وفي سبيلها دفاعاً عنها.

وفي مخيم «الجلزون» يواجه الجيش الإسرائيلي جموع الشبان الغاضبين، الذين خرجوا للتعبير عن غضبهم للطفل الرضيع الذي أحرقه مستوطنون بدم بارد، دون أن تشفع له عندهم براءته أو ضعفه، أو طفولته وبكاؤه، فما كان من جيش الاحتلال إلا أن أطلق عليهم المزيد من الطلقات النارية، وصبّ المزيد من البنزين على نار غضب الفلسطينيين، وكانت



يحرقون أطفالنا ويتهموننا بالإرهاب...

النتيجة أنه قتل صبياً في مقتبل عمره، لم يكد يتّم عامه السادس عشر، ظاناً أنه سيسكن ثورة الشعب، وسيخيف بالقتل الذي يورّعه على الشبان الغاضبين، والأمّهات النائرات، وسيحول دون تقدّم الشبان والصبيان، والرجال والنساء، الذين خرجوا منتفضين ثورة عليهم، وغضباً منهم، وداعين للنار والانتقام من جنودهم ومستوطناتهم.

المستوطنون الإسرائيليون يتجولون في كل مكان في فلسطين المحتلة، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية، المرخصة من قبل الحكومة، التي تجيز لهم استخدامها دفاعاً عن أنفسهم، ولردّ الخطر عنهم في حال تعرضهم له، ولكنهم في الحقيقة دائماً يعرضون حياة غيرهم للخطر، ويعترضون طريق الفلسطينيين في الشوارع والطرق العامة، فيطلقون النار عليهم، أو يرشقون سياراتهم العابرة بالحجارة، أو يتعمّدون دهسهم وقتلهم، ثم يدّعون أنهم الضحية، وأنّ الفلسطينيين هم الذين هاجموهم وهدّدوهم، ما جعلهم يستخدمون القوة للدفاع عن أنفسهم، ولحماية حياتهم من نوازع الشر الفلسطينية.

أما قضاء الدولة العبرية، الذي ينتصب قائماً بحزم أمام الفلسطينيين وفي مواجهتهم، وينبري قضاة محاكمها العسكرية لنزال المعتقلين الفلسطينيين المتهمين بالقيام بأعمال عسكرية، ذات طبيعة قومية مقاومة، فيصدّرون بحقهم أحكاماً بالسجن تصل إلى مئات السنوات، علماً أنّ التهم الموجهة إلى بعضهم قد تكون بسيطة وغير خطيرة، كالقاء حجارة، أو وضع متاريس وحواجز على الطرقات، أو الكتابة على الجدران، أو التواجد في مناطق الأرض المحتلة عام 48 دون تصريح رسمي، أو موافقة قانونية، ما يستدعي القضاء إلى إنزال أقصى الأحكام في حقهم، دون مراعاة لستهم أو ظرفهم، وفي السجون والمعتقلات يهانون ويعذبون، ويضطهدون ويحرمون، ويقاسون الويلات نتيجة سياسة مصلحة السجون وتصرفات عناصرها.

يتجول المستوطنون الإسرائيليون في كل مكان في فلسطين المحتلة، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية، المرخصة من قبل الحكومة، يعرضون حياة غيرهم للخطر، ويعترضون طريق الفلسطينيين في الشوارع والطرق العامة، فيطلقون النار عليهم، أو يرشقون سياراتهم العابرة بالحجارة.

بينما يتراجع القضاء الإسرائيلي أمام جرائم المستوطنين وأعمالهم العدوانية، ويقف أمامهم هزياً مهزوزاً، متردداً غير حاسم، وضعيفاً غير رادع، فلا يتجرأ عليهم، ولا يستطيع القسوة عليهم، فتكون أحكامهم في حقهم مخففة جداً، وغالباً ما يتم العفو عنهم وفق قانون نصف المدّة، أو نتيجة حسن السلوك وفي المناسبات الوطنية والعامّة، أو بأيّ حجة أخرى كالعفو الرئاسي، أو المزامنة مع عمليّات الإفراج عن الفلسطينيين، بحجة إرضاء الشارع، وسحب ذرائع الغضب والمعارضة منه.

أمّا قبل محاكمة المتهمين الإسرائيليين، فإنّ اعتقالهم يتأخّر أو يتعذّر، رغم معرفة الشرطة بأمرهم، وعلمها بجريمتهم، وإحاطتها بعنوانهم ومكانهم، ونشاطاتهم وتجمّعاتهم، إلّا أنّ اعتقالهم يتأخّر، ولا يتمّ إلّا في ظلّ الضغوط الدّولية، والتّحركات الشعبيّة، واستجوابهم لا يتمّ إلّا في حضرة المحامين، ويكون الاستجواب مؤدّباً لائقاً، لا إهانة فيه ولا تعذيب، ولا ضغط ولا إكراه، وإذا اعتذر المتهم أو وكيله طالباً تأجيل التّحقيق لدواعي صحيّة أو نفسيّة، فإنّ الشرطة تستجيب لهم، وتأمّر بإطلاق سراح المتهمين رغم خطورتهم بالكفالة أو بمعرفة عناوينهم، ومنع سفرهم.

إنّها الدّولة الإرهابيّة قبل أن يكون الشعب إرهابياً مثلها، فكلاهما أصلٌ لشئ واحد، فالفرع أصلٌ، والأصل فرعٌ، إنهم طبيعة وجبلة واحدة، تربّوا عليها ونشأوا في ظلّها، وزادوا عليها ونوّعوا فيها، فهي بسياساتها العدوانيّة تمارس الإرهاب وترعاه، وتنفذه وتدعو إليه، وهي التي تقتل وتدمّر وتخرب وتعدي، وهي التي تسمح باقتحام الحرم والمقدّسات، وترعى المنتهكين وتحميهم، وتعفو عن المجرمين وتسامحهم، وتنقّمهم ظروفهم وتقدر أوضاعهم.

كلاهما واحد لا يختلفان ولا يفترقان، ولا يتعارضان ولا يختصمان، الشعب والحكومة، والمستوطنون والجيش، فما كانت الحكومة لتكون إرهابيّة لو لم يكن الشعب أكثر تطرفاً منها، وما كان الشعب ليكون إرهابياً لو لم تكن الحكومة أشدّ تطرفاً منه، وأكثر عدوانية وكراهية، فلمن نشكو الشعب إن كانت هذه حكومته، ولمن نشكو الاحتلال إن كانت هذه هي سياسته.

—  
كاتب فلسطيني

tabaria.gaza@gmail.com

الشعب والحكومة، والمستوطنون والجيش، كلاهما واحد لا يختلفان ولا يفترقان، فما كانت الحكومة لتكون إرهابيّة لو لم يكن الشعب أكثر تطرفاً منها، وما كان الشعب ليكون إرهابياً لو لم تكن الحكومة أشدّ تطرفاً منه، وأكثر عدوانية وكراهية، فلمن نشكو الشعب إن كانت هذه حكومته، ولمن نشكو الاحتلال إن كانت هذه هي سياسته.

إنّها الدّولة  
الإرهابيّة قبل  
أن يكون الشعب  
إرهابياً مثلها،  
فكلاهما أصلٌ  
لشئ واحد، فالفرع  
أصلٌ، والأصل فرعٌ،  
إنهم طبيعة وجبلة  
واحدة، تربّوا عليها  
ونشأوا في ظلّها.  
فهي التي تقتل  
وتدمّر وتخرب  
وتعدي، وهي التي  
تسمح باقتحام  
الحرم والمقدّسات،  
وترعى المنتهكين  
وتحميهم، وتعفو  
عن المجرمين  
وتسامحهم، وتنقّمهم  
ظروفهم وتقدر  
أوضاعهم





## الشهيد الرضيع علي الدوابشة...



يعرقون الرضيع .. ولا تعرك الشعوب العربية ساكنا  
هل مات ضمينا لإحساس بالإنسانية؟



## الإنسان و السماء - ج 8 لغة الكون

رأينا مع مقراب «جاليلي» أنّ الضّوء الصّادر عن الأجرام السّماوية هو الذي جمعته العدسة بكميّة كافية لتستطيع عين الإنسان إبصار ما كان محجوبا عنها منذ آدم عليه السلام. لذلك يستحق الضّوء كظاهرة طبيعية تسليط «الضّوء» عليه باعتبار أنّه يمثّل اللّغة الوحيدة - كما سيتبين ذلك لاحقا - التي استطاع بواسطتها الإنسان سبر أغوار المادّة و الكون واستكشاف مكوناته وبنيته وحركتيه وحلّ بعض من ألغازه وأحاجيه مثل أزليته وحجمه وغير ذلك. فأبعاد الكون كما سنرى كبيرة جدّا ويستحيل الوصول أو حتّى الاقتراب من أقرب نجم من مليارات مليارات النّجوم التي يحتويها كوننا لدراسته مباشرة. فماذا عن ماهية الضّوء؟ وكيف تقع عملية الإبصار؟ وأيّ معلومات يمكن أن نستقيها من الضّوء القادم إلينا من الأجرام الموجودة في أعماق السّماء والماضي السحيق لتلك الأجرام؟ لنحاول تتبّع مفهوم الضّوء عبر التّاريخ باقتضاب نأمل ألاّ يخلّ بالغاية المرجوة و هي إدراك أهمّيته كوسيلة أساسيّة في تعاطي الإنسان قديما وحديثا مع السماء.

### الضوء عند الإغريق

قال أفلاطون (427 ق.م. - 347 ق.م.) بأنّ هناك شعاعا يخرج من عين الإنسان فيحيط بالأشياء التي يراها. إلّا أن أرسطو خالفه، وهو أستاذّه، إذ يقول بأنّ العين ترى الأجسام بدون أن يصدر من تلك الأجسام شيئا. وقال أيضا أنّه لو أنّ العين هي التي تصدر أشعّة الرّؤية لكان من الممكن أن نرى الأشياء في الظلام. فليس للبصر وجود في ذاته بالنّسبة لأرسطو. أما الرّواقيون، تلاميذ الفيلسوف اليوناني زينون (334 ق م - 262 ق م) الذي كان يعلمهم في رواق، فقد ذهبوا إلى أنّ إبصار جسم لا يمكن أن يكون إلّا بأن يخرج من العين شعاع يلمسه ولذلك عرفوا بأصحاب الشّعاع.

عند تناولنا لنموذج أرسطو للكون قلنا بأنّ العناصر المكوّنة له هي التّراب والماء والنار والهواء بالنسبة للعالم ما تحت القمر والأثير بالنسبة لعالم ما فوق القمر. والأثير في تصور أرسطو للكون هو وسط طبيعي مادّي شفاف يفترض أنّه يملأ الكون كلّّه ويعزى إليه خفّة قصوى ومرونة قصوى في آن واحد. فهو أدقّ من الغاز وأمرن من الفولاذ. وقد افترضت تلك المرونة (الصّلابيّة) لكي تسمح للضّوء بالانتشار بسرعة كبيرة إذ كان يعتقد أنّ الضّوء هو عبارة عن نشاط (ارتجاج) ولكي ينتشر لا بدّ له من وسط حامل شأنه شأن الأمواج الاهتزازيّة التي تتكون على سطح ماء بركة. أمّا الصّفة الثّانية للأثير فهي ضروريّة لتتمكّن الأجرام السّماوية من الحركة. فالشّمس إذا هي التي تحدث نشاطا (ارتجاجا) في الأثير فينتج الضّوء واللّون.



د. نبيل غريبال

يستحق الضّوء كظاهرة طبيعيّة تسليط «الضّوء» عليه باعتباره يمثّل اللّغة الوحيدة التي استطاع بواسطتها الإنسان سبر أغوار المادّة و الكون واستكشاف مكوناته وبنيته وحركتيه وحلّ بعض من ألغازه وأحاجيه مثل أزليته وحجمه وغير ذلك.

## الضوء (النور) عند العرب

إذا توسّلنا معنى لكلمة ما في اللغة العربية فإننا نستجد بالقواميس اللغوية التي أنجزت. فبالنسبة لموضوعنا فإننا نجد في اللغة العربية كلمتي «الضياء» و«النور». يقول أهل اللغة: الضياء أخص من النور وكان العرب قديماً لا يفرّقون بين الضياء والنور فكلاهما عندهم بمعنى الضوء المنتشر من

النيرات (أي الأجسام المنيرة). ودليل ذلك أننا نجد في القواميس العربية كمعجم المعاني الجامع أنّ الضوء هو النور، وهما مترادفان. كما نجد مثلاً في قاموس المعاني: «لَا ضَوْءَ الْقَمَرِ وَأَنْعَكَسَ عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ فَتَلَأَلَتْ ضِيَاءً». أمّا في قواميس اللغة غير العربية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية) وهي اللغات التي جاءت عن طريقها العلوم الحديثة فلا يوجد إلا مرادف واحد أي الضوء ولا تفرّق بين الضياء والنور.

### في القرآن الكريم: أشعة الشمس ضوء وأشعة القمر نور

لم يلتزم القرآن الكريم باستعمال الترادف الذي اتّصفت به كلمتي ضوء ونور في الاستعمال العربي كما تبيننا ذلك سابقاً في بعض الأمثلة الموجودة في القواميس اللغوية. فجد مثلاً الآيات التالية: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ» (يونس: 5) و«وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا» (نوح: 16) و«وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا» (النبا: 12-13). كان علينا أن ننتظر ما تكشف عن الضوء من حقائق لكي ندرك لماذا هناك تفرقة بين ضوء الشمس ونور القمر في القرآن. قلت كان علينا أن ننتظر رغم أن القرآن الكريم يوضح المسألة. فإله سبحانه وتعالى سمّى الشمس مرّة بالسراج، وأخرى بالسراج الوهّاج، والسراج في اللغة هو المصباح الذي يضيء بالزيت. فالشمس والمصباح يشتركان إذا في خاصية واحدة، كما يقرّر القرآن وهي أنّهما يعتبران مصدرًا مباشرًا للضوء. أمّا أشعة القمر فقد سمّاها الخالق بالنور، ولم يشبه القمر في أي من الآيات بمصباح ممّا يعني أنّ القمر هو مصدر غير مباشر للضوء وهو ما أصبح معلوماً من علم الفلك بالضرورة. فكلّما ضوء لا تعني النور في القرآن بل تعني الشعاع المنعكس من الأجسام غير المضيئة في ذاتها كما أصبحنا نفهم الآن من ظاهرة انعكاس الضوء وغيرها من الظواهر التي ارتبطت بتاريخها بعلم فذ من أعلام المسلمين وهو «الحسن بن الهيثم» الذي يشهد له التاريخ بأكبر ثورة علمية في البصريّات على المستوى المفاهيمي من جهة وعلى مستوى الأساس التجريبي الذي حدّد معالمه في تلك الثورة من جهة ثانية وذلك في أوائل القرن الحادي عشر ميلادي.

يشهد التاريخ «للحسن بن الهيثم» بأكبر ثورة علمية في البصريّات على المستوى المفاهيمي من جهة وعلى مستوى الأساس التجريبي الذي حدّد معالمه في تلك الثورة من جهة ثانية وذلك في أوائل القرن الحادي عشر ميلادي.

لم يلتزم القرآن الكريم باستعمال الترادف الذي اتّصفت به كلمتي ضوء ونور في الاستعمال العربي فهو يصف الشمس بالسراج باعتبارهما مصدرًا مباشرًا للضوء أمّا أشعة القمر فقد سمّاها الخالق بالنور، ولم يشبه القمر في أي من الآيات بمصباح ممّا يعني أنّ القمر هو مصدر غير مباشر للضوء. فكلّما ضوء لا تعني النور في القرآن.





## الضوء عند ابن الهيثم : إعادة الأمور إلى نصابها

يمثل الضوء بالنسبة لابن الهيثم (956 م – 1040م) عاملاً أو مؤثراً موجوداً بذاته في العالم الخارجي المستقل عن نفس الإنسان وذهنه. وقد أعزى إحساس البصر بالعقل والحواس، وهي أدوات إدراك العالم الخارجي، إلى ذلك العامل ذي الوجود العيني. وانطلاقاً من تصوّره لتلك العلاقة بين الإنسان ومداركه من جهة والبيئة الخارجية التي يتحرّك فيها من جهة ثانية والقائمة على افتراض وجود عنصر ثالث هو الضوء، فقد وضع حدّاً لذلك التّصور القديم القائل بفكرة خروج شيء من البصر إلى الجسم المرئي ليحقّق عملية الإبصار. أمّا عن طبيعة الضوء فقد افترض ابن الهيثم أنّه جسم مادّي لطيف ينبعث من الأجسام ذات الأضواء الذاتية فحسب على شكل أشعة لها أطوال وعرض سماها حبال نور. وقال بالطبيعة الجسيمية للضوء وانتشاره في خطوط مستقيمة. شرح ابن الهيثم انعكاس الضوء عند سقوطه على سطح جسم وانعطافه عند نفوذه من وسط شفاف إلى وسط شفاف آخر يختلف عنه في الشّفاف وهي خاصية ترتبط بكثافة الوسط. وقال بأنّ حركة الضوء في الأجسام الغليظة أبطأ من حركتها في الأجسام اللطيفة. كما استطاع أن يثبت أنّ للضوء سرعة محدّدة وليست لانهائية مثله مثل الصوت إلا أنّ سرعة الضوء أكبر بكثير بحيث لا نحسّ بها أصلاً وهو يتنقّل. لم يكن ممكناً لابن الهيثم أن يحقّق تلك الثورة في البصريّات لو لم يتناول النظريات القديمة بالنقد والتحليل واتباع منهج علمي صارم يقوم على الاستقراء الذي يبنى على مراحل تبدأ بالملاحظة تتبعها التجربة ثم وضع الفروض النظرية لتفسير ما تتمخض عن التجارب من نتائج. ترك ابن الهيثم رصيذا ضخماً في علم البصريّات ترتبط بالدراسة النّظرية والتجريبية للظواهر المميّزة للضوء كالانتشار والانعكاس والانكسار.

## الضوء عند نيوتن : النظرية الجسيمية تفرض نفسها

ينطلق نيوتن (1643-1727) من فرضيّة أنّ الضوء هو جسيمات مضيئة تصدر عن الأجسام وكأثنا كرات من نور. وقد عرفت تلك الفرضيّة بـ «فرضيّة الإصدار». وبالاعتماد على تلك الصورة الذهنية للجسيمات الضوئية ونظريته عن الحركة فقد بين نيوتن أنها تنتشر وفق خطوط مستقيمة تدعى بالأشعة الضوئية. وعندما تصطدم الكرات بسطح عاكس كالمِرّات فإنّها ترتدّ بزواوية مساوية لزواوية الورود. وعندما يجتاز الشّعاع الضوئي السطح الفاصل بين وسطين شفافين مختلفين فإنّه يغيّر مساره (ينكسر) وسرعة انتشاره. صاغ نيوتن رياضياتاً القوانين التي تصف سلوك الضوء كالانتشار والانعكاس والانكسار. فرضت تلك النّظرية نفسها لقدرتها على تفسير العديد من الظواهر مثل الانكسار الظّاهري للقلم عندما يغمس أحد طرفيه في الماء، وظاهرة السّراب ولماذا يبدو قاع بركة ماء أقرب لسطحها ممّا هو عليه حقيقة وغيرها.

تمكن نيوتن أيضاً من إثراء المعارف الإنسانية المتعلّقة بالضوء وذلك بإحداث قوس قزح في مخبره بعد أن أمر شعاعاً ضوئياً في منشور زجاجي. فقد خرج الضوء من المنشور وقد تفرّق إلى ألوان عدّة أطلق على مجملها «الطيف المرئي». وقد تطلّب تفسير كيفية حدوث ذلك الطيف قليلاً من الزّمن حتّى يقع الالتجاء للنّظرية الجسيمية.

ولم يكن أيضاً بمقدور نظرية نيوتن الجسيمية تفسير لماذا ينتشر الضوء انتشاراً مروحيّاً (ظاهرة الحيود) بعدما تجتاز حزمة ضوئية ثقباً صغيراً. فالنّظرية الجسيمية لا تقول بتغيّر منحى الإشعاع الضوئي إذا لم يغيّر وسط انتشاره. وقد تطلب الأمر الاستعانة بالظاهرة التّموجية لفهم كيف حدث انعراج الضوء وحيوده.

و قبل أن نواصل لا بد من الإشارة إلى أن من أعظم ابتكارات نيوتن في الرياضيات و



لم يكن أيضاً بمقدور نظرية نيوتن الجسيمية تفسير لماذا ينتشر الضوء انتشاراً مروحيّاً (ظاهرة الحيود) بعدما تجتاز حزمة ضوئية ثقباً صغيراً. فالنّظرية الجسيمية لا تقول بتغيّر منحى الإشعاع الضوئي إذا لم يغيّر وسط انتشاره. وقد تطلب الأمر الاستعانة بالظاهرة التّموجية لفهم كيف حدث انعراج الضوء وحيوده.



التي ستجعل الطريق سالكا لمزيد التعرف على الطبيعة المراوغة للضوء هي «المعادلات التفاضلية». فما هي أهمية تلك المعادلات؟ إنها صيغ حسابية قادرة على وصف حركة الأجسام التي تخضع بشكل ناعم لتغيرات متناهية الصغر في الزمان و المكان مثل حركة الأمواج و السوائل و الغازات و غيرها. فما الرابط بين المعادلات التفاضلية و طبيعة الضوء؟

### مفهوم «الحقل»

لنتذكر قليلا قانون نيوتن في الثقالة. في هذا القانون هناك شيئا ما لم يكن نيوتن نفسه مرتاحا له وهو وجود قوة جذب تنتشر فوريا وبسرعة لانهائية من الشمس إلى باقي الكواكب لتتكوّن المنظومة الشمسية. فما هي طبيعة تلك القوة القادرة على الانتشار بدون وسيط؟ غموض طبيعة تلك القوة الفيزيائية استقرّ العديد من العقول من بينها مايكل فراداي (1791 م – 1867 م). قام فراداي بالتجربة التالية : وضع برادة (قطعا دقيقة) من الحديد فوق سطح يسمح بنقل التأثير المغنطيسي الناتج عن وجود مغنطيس أسفل السطح. كانت النتيجة لافتة للنظر. تورّعت برادة الحديد على هيئة خطوط سمّاها خطوط القوة. ما الذي حدث؟ إنّ المكان الفارغ ليس كذلك بالنسبة لفراداي بل مملوء بخطوط قوة هي التي (أي القوة) فرضت ذلك التوزيع الهندسي الجميل لقطع الحديد. أما التجربة الثانية التي ستكمل الصورة فهي التالية : حرك فراداي عام 1831 مغنطيسا صغيرا قرب سلك فلاحظ ولادة تيار كهربائي أي أنّ حقل القوة المغنطيسي حركّ الالكترونات في السلك عبر الفضاء الفارغ خالقا تيارا كهربائيا. استنتج من التجربتين أنّ «حقول القوة» ليست رسوما خاملة كما اعتقد سابقا بل هي قوى مادية حقيقية قادرة على تحريك الأجسام و توليد طاقة. وقد تابع التجارب التي أثبتت أنّ التأثير عن بعد الذي حيّر نيوتن يمكن أن يفسّر بوجود حقول قوة وأنّ حقول القوة المغنطيسية والكهربائية هما وجهان لظاهرة واحدة هي «الكهرمغنطيس» باعتبار أنّ الحقول المغنطيسية تتحوّل إلى حقول كهربائية والعكس صحيح. لكن ما علاقة حقول قوة فراداي بالضوء؟ جيمس كليرك ماكسويل (1831 – 1879) سيجيبنا على السؤال.

### الضوء موجة

ماذا فعل ماكسويل بالضبط؟ كتب ماكسويل أوصاف فراداي لحقول القوة بلغة الرياضيات مستعملا المعادلات التفاضلية كأداة للتعبير عنها. لكن لماذا المعادلات التفاضلية؟ الإجابة بسيطة. فتلك المعادلات تصف حركة الأجسام التي تخضع بشكل ناعم لتغيرات متناهية الصغر في الزمان و المكان و من طبيعة خطوط حقول قوة فراداي أنها تظهر بدورها تغيرات طفيفة في شكلها مما يجعلها موضوعا للمعادلات التفاضلية. واصل ماكسويل اشتغاله على حقول القوة و تساءل ماذا لو افترضنا أن تحول إحدى القوتين إلى الأخرى يستمر بدون توقف؟ أجابته المعادلات الرياضية بان ذلك سيعطي أمواجا كأموال البحر تنتقل بسرعة قريبة جدا من سرعة الضوء وهو ما مثل له سببا قويا لاستنتاج أن الضوء نفسه هو تموج كهر مغنطيسي. و مع معادلات ماكسويل اتضح سر الضوء و أصبح بمقدورنا وصف العديد من المظاهر الطبيعية كأشعة الشمس و ألوان الطيف المرئي و تلالا النجوم و ظاهرة الحيود التي كان تصور نيوتن عاجزا على تفسيرها. و لنا عودة لظاهرة الضوء كموجة.

- دكتور بالجامعة التونسية  
ghorbel\_nabil@yahoo.fr

ماكسويل



أثبت فراداي من خلال تجاربه أن التأثير عن بعد الذي حيّر نيوتن يمكن أن يفسّر بوجود حقول قوة وأن حقول القوة المغنطيسية والكهربائية هما وجهان لظاهرة واحدة هي «الكهرمغنطيس» باعتبار أنّ الحقول المغنطيسية تتحوّل إلى حقول كهربائية والعكس صحيح.





ناجي حجلّاي

## سراب الأرض

حديقة  
السحراء

إنّ في يوسف سراً  
مدّه في الجيد حبلاً  
من مسد  
واعتلى العرش ملياً  
أيّها السّراق لا تشريب  
إنّا قد عفونا  
وانظروا الشعب  
تراه هل عفا عمّا سلف؟

—  
شاعر وأديب تونسي  
hajlaoui.neji@gmail.com

هل تبالي؟  
بسحاب يكتب الأنواء  
في قرطاس حالٍ  
مثل حالي؟  
أم تبالي  
بسراب الأرض  
يروي قصّة الثورات  
في جوف الليالي  
هل تهبّ الزيح في الصّحراء  
سراً

أم يظلّ النور في الأحداق من غير نوال؟  
هذه الألواح  
والأقداح  
خذها يمين أو يسار  
لا تخف  
وارتقب يوماً تجيء البقرات  
بدماء لم تجف





سالم المساهلي

هنا أو هناك ...

على ضفة الشارع العربي ،

تئن الأزقة

تحت الخطى اللاهثة ..

ويعلو مداها شحوب

وظل رهيب ...

...

هنا أو هناك ..

على ضفة الشارع العربي ،

تهيم المسافة ..

مُثقلة بالوجوم

تفوح الرياح الحبيسة

من جانبيها ..

ويطفو بخار شريد ..

...

غبار الجرائد ..

والأغنيات الهجينة

والعاطلون ...

تكدسهم شهوة الإنتصاب

على الأرصفه ..

وتحرقهم رغبة في الهروب ..

...

نوافذ مكتومة

يعتليها البيات الطويل

تماهت مع زرقة الحائط المستमित ..

برغم الجراح العميقة

في صدره ..

وقد كفنته العناكب

كي تطمئن على صبره

في رماد السنين .

...

فكم سيعشش

ذاك الظلام الكثيف

وذاك الغبار وتلك الظلال ؟

وكيف ستفتح أحضانها

للحياة ،

وتشرع أشواقها

للضياء ..؟

وكيف سيغمرها ذات صبح

نقاء الهواء ؟

— شاعرتونسي

salemsehli@yahoo.fr

## أبو حنيفة النعمان 80 - 150 هجرية [ 699 - 767 م ]

ضيفنا في هذا الركن هذه المرّة فقيه وعالم ومؤسس المدرسة الحنفية أحد المذاهب الفقهية الأربعة للمسلمين السّنة، إنّه النعمان بن ثابت وكنيته «أبو حنيفة».

ولد النعمان بالكوفة من عائلة ميسورة الحال وعاش فيها صباه وشبابه، وفيها حفظ القرآن الكريم وعمل مع والده في التّجارة واحتكّ بمجتمع متنوع يعيش فيه العرب والسرّيان والفرس وأبناء خراسان وتلقّي فيه فلسفات اليونان والفرس ومذاهب الشيعة والسّنة والخوارج والمعتزلة، وتتضارب آراء الفرق في السّياسة مثل تضاربها في العقائد، فتأثّر بما رآه وعاشه فانصرف في سنّ الثّانية والعشرين إلى طلب العلم والبحث من دون أن يقطع علاقته بالتجارة التي كانت تدرّ عليه خيرا وفيرا، وتهبه من فضل الله مالا كثيرا..

التحق أبو حنيفة بحلقات «علم الكلام» فاستمع وناقش وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد وما يتصل به، وحفظ القرآن، وعرف قدراً من الحديث، وقرأ من النحو والأدب والشعر ثم انصرف عنها إلى دراسة الفقه، والتحق بحلقة حماد بن أبي سليمان، أحد كبار فقهاء الكوفة، وقد ثبت أن أبا حنيفة لازمه ثمانى عشرة سنة إلى أن توفي سنة 120 هـ، فتولّى أبو حنيفة رئاسة الحلقة، وأخذ يدارس تلاميذه ما يُعرض له من فتاوى ومنحهم قدرا كبيرا من الحرّية، فلم يتركوا مسألة دون نقاش فكانت حلّفته مثل خلية نحل تعمل ليلا نهارا نقاشا وبحثا علميا، حتى وُضع تلك الطريقة الفقهية التي اشتق منها المذهب الحنفي.

لاحظ الإمام أبو حنيفة أن فقهاء المسلمين يجتهدون عند الحاجة فقط، لذلك فقد هدف إلى وضع نظام قضائي شرعي ينظّم حياة المسلمين في كلّ الأزمنة والعصور، ويستند إليه القضاة في حلّ قضايا الناس والفصل في النزاعات. ويعتبر أبو حنيفة من الأئمة الذين وضعوا الأسس النظرية للفقه الإصلاحي باعتماده على الرّأي والقياس، ولهذا يسمّى المذهب الحنفي بمذهب أهل الرّأي وقد ارتكز في فقهه على ستّة مصادر هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف والعادة.

ويعتبر المذهب الحنفي بصفة عامة مذهباً مجدداً احتوى على الكثير من الأفكار الجديدة، واعتمد على الإمعان في التّعقل، من دون أن يخرج عن الحدّ المألوف عند مدارس الفقه الأخرى في الاجتهاد والرّأي.

كان أبو حنيفة لا يقف عند النصوص، وإنما يبحث في دلالاتها، ويحاول أن يواجه بالأحكام ما يقع من أحداث، وما يتوقع حدوثه من الأقضية والحالات. اتجه في استنباط الأحكام إلى إلحاق الأمور غير المنصوص على أحكامها بما نصّ على حكمه في حدود



عاش أبو حنيفة في زمن انتشر فيه وضع الحديث خدمة لهذا الجانب أو ذاك من التيارات المتصارعة، فوقف من الحديث موقف المتحزي للرواية ومعاني الأحاديث حتى ليرى بعض المؤرخين أن ما صخّ عنه سبعة أحاديث متواترة، أو كما قال ابن خلدون «إن أبا حنيفة بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها»



أراد أبو حنيفة من تلامذته أن يتعلموا الحرّية معه ليكونوا أحراراً مع غيره، فلن يتعلموا الحرّية في التفكير إذا لم يمارسوها في التعبير، ولن يتعلموها مع الناس إلا إذا تعلموها مع شيخهم وهو عندهم خير الناس.



لوأخذ بوصايا  
الإمام أبي حنيفة  
في التربية في  
يومنا هذا لمساء  
الأدب وفسد الولد  
وسادت الضغينة  
واستشري الفساد  
وطفح الإرهاب على  
خرائط البلاد..  
لقد أوصى الإمام  
تلميذه الذي سأل  
كيف التعامل  
مع الناس فأجابه:  
«متى أسأت عشرة  
الناس صاروا لك  
أعداء ولو كانوا  
لك أمهات وأباء،  
وانك متى أحسنت  
عشرة القوم صرت  
لهم في منزلة  
الأبناء».



ما يحقق مصلحة الأمة ويتسق مع عرف البلد وعاداته، إن لم تخالف هذه العادات والأعراف روح الشريعة أو نصوصها. ولأن أبا حنيفة عاش في زمن انتشر فيه وضع الحديث خدمة لهذا الجانب أو ذاك من التيارات المتصارعة، فقد وقف من الحديث موقف المتحري للرواة ومعاني الأحاديث، ورفض منها ما يشك في صدق روايتها وتقواهم، أو ما يخالف نصاً قرآنياً، أو سنة مشهورة، أو مقصدا واضحا من مقاصد الشريعة. وذهب إلى أن القياس الصحيح يحقق مقاصد الشارع، ويجعل الأحكام أصوب وهو خير من الاعتماد على أحاديث غير صحيحة. وللقياس ضوابط هي تحقيق المصلحة وهذا هو هدف الشريعة.



وقاده منهجه في الاجتهاد إلى عديد من الآراء الحرة من بينها الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة، في عصر بدأت المرأة فيه تتحول إلى حريم للمتع! فأفتى بحق الحرية البالغة في أن تزوج نفسها وتختار زوجها. وأفتى بحق المرأة في تولي كل الوظائف العامة بلا استثناء بما فيها القضاء. وفي كل أمر من أمور الحياة تتعرض فيه حرية الإنسان لأي قيد، أفتى الإمام أبو حنيفة باحترام الحرية وكفالتها، لأن في ضياع حرية الإنسان أذى لا يعده أذى ولأن سوء استخدام الحرية أخف ضررا من تقييدها.. لقد أفتى بكل ما يبسر الدين والحياة على الإنسان فذهب إلى أنه لا يحق لأحد أن يمنع المالك من التصرف في ملكه. ولا يحق لأحد أن يحكم على مسلم بالكفر ما ظل على إيمانه بالله ورسوله حتى لو ارتكب المعاصي. ومن كفر مسلما فهو إثم.

وقد أغنت آراؤه في الفقه وجدان الناس، وأيقظت ضمائرهم، وحركتهم للدفاع عن حرياتهم في التصرفات، متمسكين في ممارستهم للحرية بمبادئ الدين وأصوله.. وكانت هذه الآراء كلها تناقض روح العصر الذي عاش فيه وهو عصر يقوم نظام الحكم فيه على تكفير الخصوم، وإهدار دمائهم، وتقييد الحريات، وإطلاق يد الحاكم، وتمكين ذوي السطوة من الضعفاء. من أجل ذلك اتهمه خصومه من الفقهاء أصحاب المناصب (على رأسهم ابن أبي ليلى وتابعه شبرمة) بالخروج عن الإسلام وتعرض في حياته وبعد وفاته إلى هجمات الذم والقبح واللغو والتشنيع والتطاول، تنتقص منه وترميه بالمجون تارة وتتهمه بالإسراف في الرأي وتخرجه عن الملة تارة أخرى.

وقد رفض أبو حنيفة منصب القضاء أيام الأمويين والعباسيين على حد سواء، الأمر الذي عرضه إلى غضب الخلفاء والتعذيب والسجن أكثر من مرة. وكانت وجهة نظره أن الإمام لا يجب أن يصير قاضيا وأن تحمّل المسؤولية في عهد يحكمه الظالمون المستبدون، إنما هو مشاركة في الظلم وإقرار للاستبداد وقد مات الإمام أبو حنيفة في السجن نتيجة رفضه تولي القضاء سنة 150 للهجرة (767 للميلاد) ودفن في بغداد.

رحل أبو حنيفة النعمان لكنه ظل خالدا في تاريخ الإسلام بما مكن للشريعة السمتحة من التعميم والانتشار لتظل كما أنزلها الله حية في كل عصر بفضل خصاله وأفكاره القائمة على الحرية والتسامح قاوم بها طغيان الأمير والخليفة والسجان وطغيان التقاليد والجمود والتعصب لينشئ مدرسة الرأي في الإسلام لتكون أم الفقه الإسلامي ومنبعه على مرّ الدهور، ليحقّ القول فيه من معاصريه في القرن الثاني الهجري من أن أبا حنيفة النعمان كان «مخ العالم».



انتقلت الثورات العربية في زمن وجيز من مرحلة المدّ الى مرحلة الجزر، بعضها توقّف لهيبها تماما وأخرى بين الانطلاق والأفول كما هو الحال في ليبيا واليمن مثلا. وبغض النظر عن الأسباب وتشعبها وسوء تقدير النّخب التي تولّت الحكم لعاملي الزمن وللحجم الهائل من التّحديات، فإنّنا مازلنا بصدد الحديث عن فرصة الانطلاق نحو تغيير تدريجي للأوضاع التي كانت قائمة قبل الثورة وتحقيق ما أمكن من أهدافها دون السّماح بانزلاق الوضع الى ما كان عليه من قبل أو الى ما هو أسوء.

لعلّ النموذج التّونسي يكون الأقرب في الدّلالة على هذا المنهج حيث استطاع التّونسيون الحفاظ على جسد الدّولة معافى وبناء مؤسسات للحكم باليّة الانتخاب وتكوين خريطة حزبيّة أخذة في التّقلص بعد طفرة أملا في الوصول الى عدد من الأحزاب يكون مناسبا وممثّلا لكلّ الحساسيّات الفكرية والسياسية المتنوعة . وقد أخذ هذا الأمر من التّونسيين جميعا ما يزيد عن السّنوات الثلاث وما زال يتطلّب المزيد من الوقت لبناء التّوافق على أسس من الاعتراف بالآخر والبناء المشترك وحماية التّجربة من المتربّسين بها. ولئن كان لظهور الإرهاب أثره في سير الأحداث وتوجيه المجهود نحو مزيد من الجهد في سبيل التّوقي من الأخطار، فإنّ أمراض النّخبة وقلة التّجربة وثقافة النّفي قد أسهمت في تعطيل الجهد ومحاصرة الأحلام .

لم يثر النّاس حبا في الثورة ولكن من أجل التّعبير عن رغبتهم في تغيير أوضاع لم يعد من الممكن السّكوت عليها ولم يدر في خلد الثّائرين والمتعاطفين معهم أنّ صعوبة البناء لا تقدر بصعوبة الهدم وأنّنا مجتمعات تعرف كيف تهدم ولاتعرف كيف تبني، وتعرف كيف تقود الأوضاع الى الانسداد ولا تعرف كيف تحدث الانفراج .

لقد انطلقت الثورة بمطالب غلب عليها الطّابع الاجتماعي والاقتصادي ولم تكن السياسة هاجسها الأول، خرج النّاس من أجل الحصول على الحق في الشّغل والكرامة والتنمية وإصلاح الأوضاع ولم تتطوّر الأمور إلى أبعد من الاجتماعي والاقتصادي إلّا حين صمّ النظام أذنيه وبحث عن فرص الاحتواء أكثر من بحثه عن فرص التّغيير. ولعلّ هذا ما يفسّر عزوف النّاس عن السياسة والمشاركة في الانتخابات والعمل العام بعد إمعان النّخب الجديدة التي حكمت في المغالاة والاستعلاء عن مطالب النّاس الحقيقية وأخذها الى مربعات من المناكفة والثّرف الفكري والصراع على المواقع والأنماط وتقسيم المجتمع حسب الأهواء الفكرية والأوهام الهلامية التي لا تعني المواطن في شئ.



لطفي الدهواي

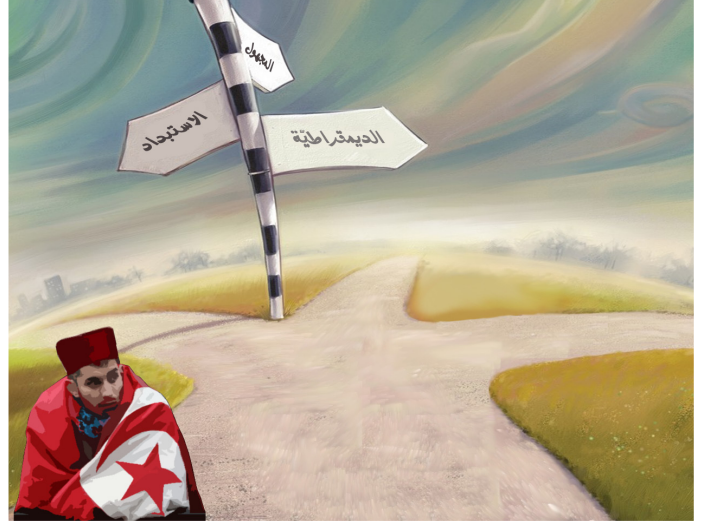
ما يفسّر عزوف النّاس عن السياسة والمشاركة في الانتخابات والعمل العام ، إمعان النّخب الجديدة التي حكمت في المغالاة والاستعلاء عن مطالب النّاس الحقيقية وأخذها الى مربعات من المناكفة والثّرف الفكري والصراع على المواقع والأنماط وتقسيم المجتمع حسب الأهواء الفكرية والأوهام الهلامية.



لم ينزلق النموذج  
التونسي إلى ما  
يشبه ما انزلق  
إليه غيره - وإن  
كان الأمان ليس  
مؤكدًا. ولكن  
ذلك لا يعطينا  
من ملاحظة  
كم هائل  
من الانحرافات  
والنكوص  
وانزياح عن أهداف  
الثورة وأحلام  
الشباب الذي ثار  
وأمال المواطنين  
الذين ساندوا



لقد خسرنا للأسف الشديد أو  
نكاد فرصة هائلة لبناء إنسان  
جديد ومجتمع مجدّد بفعل الحراك  
المعرفي والتنموي والثقافي  
داخله. ولقد رأينا بأعيننا صعوبة  
التغيير الجذري في أكثر من  
موقع وخاصة في مصر وسوريا  
ولمسنّا بالحجّة الدامغة أنّ هدم  
الأوطان والأحلام أسهل ممّا كنا  
نتصوّر وأنّ كلفة هذا الهدم قد  
تساوي ضياع الأوطان والأحلام  
إلى غير رجعة، ومن يشاهد حجم



المأساة في سوريا وما يعتمل داخل الواقع المصري الجديد من عوامل جاهزة لتصنيع  
مأساة أشدّ دموية وأعظم كلفة أو إلى ما يهدّد ليبيا يدرك أنّنا شعوب كأنّها لا ترى ولا  
تسمع ولا تدرك ولا تتعظ.

لم ينزلق النموذج التونسي إلى ما يشبه ما انزلق إليه غيره - وإن كان الأمان ليس  
مؤكدًا - ولكن ذلك لا يعطينا من ملاحظة كم هائل من الانحرافات والنكوص وانزياح عن  
أهداف الثورة وأحلام الشباب الذي ثار وأمال المواطنين الذين ساندوا، والسؤال الذي  
يجدر بنا طرحه والاجابة عليه بسرعة قبل أن يصبح طرحه متأخرًا وتصبح الأجابة عنه  
ضربًا من الترف أو الملهاة هو السؤال عن كيفة التّوقي من المصير المأساوي الذي  
عرفته الثورات العربيّة الأخرى ؟ وكيف السبيل لتحقيق طموحات الشعب التونسي كلّه  
في الحرّية والكرامة والتّشغل والعدالة الاجتماعيّة ؟ وهل بإمكاننا الرّهان على المخرجات  
السياسية لما بعد الثورة من مؤسسات وأحزاب وسياسيات من أهمّها سياسة التّوافق أم أنّ  
علينا إعادة النّظر في كل شيء.

لقد بدأت الثورة برغبة في الإصلاح وإلى الإصلاح يجب أن تنتهي وما دون ذلك كلّه  
هرطقة ولعب بالعقول والأوضاع، ولا سبيل سوى سبيل البناء يمكن نهجه من دون إراقة  
الدّماء والتباغض والتخوين والتكفير بشقيّه الديني وغير الديني، وهو بناء لا يزدهر إلاّ  
في ظلّ السلم وفي مناخ من السّلام الاجتماعي بين الجميع والرغبة في التّشارك بدل  
الصّراع والمساهمة بدل المقاطعة والمساعدة بدل التّعطيل وهو بناء تدريجي ولكنّه  
مؤسّس وممنهج غايته تحقيق ما أمكن من الازدهار على جميع الأصعدة في إطار من  
التّحابب والتّدافع السلمي وتوليد للمعاني والقيم الأصيلة.

- مستشار في الخدمة الاجتماعيّة

lotfidahwathi2@gmail.com

لقد بدأت الثورة برغبة في الإصلاح وإلى  
الإصلاح يجب أن تنتهي، ولا سبيل سوى  
سبيل البناء يمكن نهجه من دون إراقة  
الدّماء والتباغض والتخوين والتكفير  
بشقيّه الديني وغير الديني.

## غزة يا الأقصى يا الجنة

محمد وائل البسيوني

والشمس تطلّ مهما تحجبوها  
ومهما الجدار ...  
يمتد ويتعلّى  
ونحن التاريخ منّا ...  
ويحكى الزمان عنّا  
هذا الشعار يا أصحاب السعادة  
الغزويين يا غزه ... يا الجنة ...  
---  
وتعبوا السجون أحنا نفرغوها  
ما بتركعوش ...  
كلا وألف كلا  
بالجنة أنهار ونحن بنشربوها  
والموعودين ...  
بتصدق وعد الله  
مستوطنات مهما تشيدوها  
من البحر للنهر ...  
لينا الوطن كله  
والمخيمات مهما تهجروها ...  
الماء للمجرى يعود والفجر يوصلنا

تحت الزكام  
أطفال سن البراءة ...  
وعمر الورود  
تدفن أحياء في غزة ...  
وفوق الركّام أبطال ...  
تعلن هناك ...  
عربن الأسود  
وجابو لها العزة ...  
تحت الركّام  
عشاق الشهادة  
شدوا الزحال ...  
من غزة للجنة  
نصنع الأمجاد  
بعزيمة وإرادة  
نحن التاريخ والتاريخ منّا  
ونحن التاريخ منّا ...  
ويحكى الزمان عنّا  
هذا الشعار يا أصحاب السعادة  
الغزويين يا غزه ... يا الجنة ...  
سدوا الأنفاق ودّمروها  
الأقصى الشريف  
نوصله نوصله

لسماع الأغنية على العنوان التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=8fh7JPj5RW4&feature=youtu.be>





## فياركم في الباهلية فياركم في الاسلام

إلى اللقاء







# الإصلاح مجلة

## التعريف بالمجلة

مجلة الإصلاح هي محاولة «الكثرونية» للتأسيس لدوريات سياسية فكرية ذات منحنى إصلاحي. نريد من خلالها المشاركة في بلورة فكرة وسطية تتفاعل مع محيطها وتقتصر عليه الحلول لمختلف مشاكله الفكرية والسياسية والاجتماعية. نريدها حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحرية والمساواة. نريدها منبرا للتحليل واقتراح البديل من دون تشنج إيديولوجي ولا تعصب لفئة دون أخرى. نحلم أن نواصل ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم. تنطلق من الواقع الذي نعيش فيه، متمسكين بهويتنا العربية الإسلامية ومنفتحين على العصر وعلى كل فكرة أو مشروع يؤدي إلى الإصلاح.

## للإشتراك في المجلة

الرجاء ممن يرغب في الحصول على نسخة من المجلة إرسال عنوانه الإلكتروني على العنوان الإلكتروني للمجلة أو عنوان مديرها.

## للمشاركة:

\* نرجو من الأخوة والأصدقاء الذين يرون في أنفسهم القدرة على الكتابة (المقال - الشعر - القصة) أو لرسم الكاريكاتور ويريدون المساهمة في المجلة «مجانا» أن يرسلوا إنتاجهم على نفس العنوان مع صورة رقمية لشخصه.  
\* للمجلة كامل الصلاحية في نشر أو رفض المشاركات.  
\* لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين أو فيها شتم أو معلومات من دون ذكر المصدر.  
\* يتحمل الكاتب مسؤولية أفكاره وكتابات ونشرها لا يعني تبنيها من طرف المجلة.

## للاتصال بنا:

موعدنا يتجدد  
بإذن الله مع العدد

89

يوم 21 أوت 2015  
06 ذو القعدة 1436

faycalelleuch@gmail.com  
Alislah.mag@gmail.com  
www.alislahmag.com  
alislah.mag

مدير المجلة : فيصل العش  
العنوان الإلكتروني للمجلة:  
الموقع الإلكتروني للمجلة:  
صفحة الفايس بوك :